1

أصوات مقدسية

بسام الكعبي

أصوات مقدسية

بسام الكعبي

عاصمة الثقافة العربية
Capital of Arab Culture
al-QUDS
2009

ISBN978-9950-8503-6-1

أصوات مقدسية

بروفايل

عاصمة الثقافة العربية
Capital of Arab Culture
al-QUDS
2 0 0 9

أصوات مقدسية

بروفايل

الطبعة الأولى، كانون أول 2009 . رام الله – فلسطين

الرقم المعياري الدولي

978-9950-8503-6-1

©حقوق الطبع محفوظة

الغلاف: ظافر شوربجي

عاصمة الثقافة العربية
Capital of Arab Culture
al-QUDS
2 0 0 9

البيرة، جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، الطابق الأول

1st Floor, Palestine Red Crescent Society, Jerusalem Road, P.O.BOX: 3637 Al-Bireh

Tele: 02-2960277, 02-2402009 Fax: 02-2960278 Mobile: 0598-09 2009

E-mail: info@alquds2009.org www.alquds2009.org

المحـــتـــويـــات

تـقـديم 5

أحمد أبو سلعوم: غول المسرح 9

إيمان عون: توظيف المسرح المنبري لنصرة المضطهدين 25

بهاء البخاري: الكاريكاتير ينتحر في غياب الحريات 45

سليمان منصور: الفن مغامرة 65

محمود شقير: أدب يكتوي بجمر السياسة 85

مصطفى الكرد: الموسيقى لغة مكثفة للإبداع 109

تقديم

انتهت الفعاليات الوطنية لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية 2009، لكن زهرة المدائن لا زالت تلمع وميضا في السماء فوق هضابها وتلالها وعلى قباب كنائسها ومساجدها وفي مواجهة جدارها العنصري البغيض، مدينة تمتلك وحدها سر التحدي في اشراقتها رغم الحصار ومحاولات التغييب والتهميش والإهمال. ربما لم تكن المدينة العريقة تحتاج إلى كل هذه المهرجانات في الوطن وخارجه، لكن الحقيقة أنها كانت حاجتنا الماسة للاحتفاء بها، في محاولة لملامسة عتبة قدسيتها وأداء طقوس العبادة في جوامعها وكنائسها، لعلها تمنحنا بركاتها وتبث في قلوبنا التماسك وفي إرادتنا القوة.

لم يكن سهلا غياب المناسبة ورحيلها دون تكريم نخبة من مثقفي المدينة ومبدعيها، عبر سرد تجاربهم الإبداعية المختلفة في الأدب والفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى والغناء وفن الكاريكاتير، والبحث في محطات حياتهم ويوميات إبداعاتهم عن أثر بيت المقدس في إنتاج أرقى أشكال الإبداع.

وقد تم توظيف ميزة السرد الصحفي الذي يتيحه "البروفايل" باعتباره لوناً متميزاً في الصحافة المكتوبة، من أجل إسهام خلاق في توثيق خاطف للتجربة الخاصة للمبدعين والمبدعات عبر عرض سيرتهم الذاتية، وفق روايتهم، متداخلة مع الوقائع العامة ويوميات حياتهم، وقد يفيد تغطية حقبة تاريخية في الإطلالة على الماضي وربطه بالراهن لإضاءة الطريق نحو القادم. كثير من تجارب المبدعين والمبدعات في القدس بخاصة وفلسطين بعامة، تستحق الإنتاج بصيغة أكثر إبداعاً تستدعي التوقف عند التفاصيل الصغيرة من أجل توثيق التجربة وتلمس عمق غناها، ومع ذلك ربما تغيب قسرا جوانب حيوية في تاريخ الشخصية

بحكم اعتبارات ضيق المساحة الورقية الخاصة بالتجربة وسرعة تدوينها .
نأمل في القريب العاجل متابعة مشروع تسجيل التجارب الغنية لمبدعي فلسطين ذكورا وإناثا في كل أماكن تواجدهم، والحفر بعيدا في يوميات شخصيات مرموقة تركت بصمتها في مسيرة شعب عنيد ومقاوم، وذلك لالتقاط ماس الخبرة وحكمة التجربة.
أعترف أن شخصيات البروفايل" المدرجة في ثنايا "أصوات مقدسية" تستحق كل تقدير وثناء ، وأعترف أيضا أن مجموعة كبيرة من مثقفي ومثقفات القدس غابوا عن صفحاته، أما لعدم القدرة على التواصل مع بعضهم أو لعدم توفر الوقت الكافي لتجميع التجارب وتسجيلها إضافة إلى تعذر نشرها جميعا في كتاب واحد ، وهو أمر يستحق المتابعة والبحث باهتمام لضمان إصدار كتاب آخر قريبا ، يتضمن تجارب نخبة من مثقفي ومثقفات القدس وفق هذا اللون من الكتابة الصحفية بلغة البروفايل السردية، وقد يفتح ذلك أفقا حيويا لرفد المكتبة الوطنية بنصوص متميزة تغطي تجارب المثقفين والمثقفات بمختلف أطيافهم وعلى امتداد الساحة الفلسطينية.
لا شك أن الإبداع الخلاق للشخصيات الست في مسيرتها الرائدة وضعها على سلم الاهتمام الثقافي، وقد وردت في سلم صفحات الكتاب وفق ترتيب حروفها الأبجدية: المسرحي المرموق أحمد أبو سلعوم أبدع في المسرح، حتى أن الصحافة البريطانية كتبت عنه انه "شارلي شابلن" بقرحة معدة شرقية ووجع عربي، وقد أجاد في كل مسرحياته، لكنه انتزع جائزة أفضل ممثل مسرحي في "رمزي أبو المجد" من مهرجان قرطاج الدولي في تونس. شقت إيمان عون طريقها إلى المسرح عبر اكتشاف موهبتها في البيت ثم صقلها في المدرسة وتألقها مع "الحكواتي" ومسيرته المسرحية قبل أن تشارك الممثل المسرحي المرموق ادوار معلم في

تأسيس عشتار ، وقد تألقت في مسرحيتها الأخيرة "أنا القدس" وهي تستحضر تاريخ خمسة آلاف عام من تاريخ المدينة في أداء متميز على الخشبة. أبدع بهاء البخاري في صياغة شخصيات رسوماته الكاريكاتورية من أميغو أبو فيصل "الكويتي" بقبعة مكسيكية يتناول فيها الشأن الخليجي، مرورا بشخصية "أبو عرب" بشامة سوداء تطل من جانب فمه لينطق بموقف الحاكم العربي، وانتهاء بشخصية "أبو العبد" الفلسطيني الذي لا يضعف ولا يستجدي ولا ينكسر رغم كل الدمار والحصار الذي يحيط به، وقد حصدت هذه الشخصيات الثلاث نحو مائة ألف كاريكاتير على مدى أربعين عاما وعددا من الجوائز. وضع سليمان منصور أيقونة فنية على المستوى الفلسطيني والعربي عندما خط بريشته "جمل المحامل" ذلك العتال الفلسطيني العجوز الذي يحمل قبة الصخرة على ظهره ولا يتعب، ثم أبدع في توظيف الطين في لوحاته ونال جائزة على عمله "أنا إسماعيل" ، واسهم في الحفر بهوية الفنون التشكيلية الفلسطينية عبر رسم أكثر من ثلاثمائة لوحة. وجمع محمود شقير يومياته في القدس بصفحات كتابه "ظل آخر للمدينة" بعد عودته إليها في رحلة إبعاد قسري دامت نحو سبعة عشر عاما . وظف شقير قدراته الأدبية في تدوين السرد القصصي وانتزع نحو ثمانية وعشرين كتابا وأربع مسرحيات وست مسلسلات تلفزيونية ولا زال في الأفق إبداعا منتظرا ، وقد نال التكريم والجوائز على إسهاماته الأدبية. وغنى مصطفى الكرد لأحياء القدس القديمة من باب حطة إلى خان الزيت إلى الشابورة، واستحضرها لحنا جميلا في أغنياته عندما عاش تسع سنوات بعيدا عنها في المنفى، أقام خلالها في بيروت ثم برلين، وتنقل للغناء من أجل فلسطين في العديد من المهرجانات العربية والدولية، واصدر مجموعة اسطوانات آخرها "المداح" التي يقدم فيها ثماني أغان عن ذكرياته في القدس، تحمل وفاء لمدينته ولأصدقائه الذين عشقوها لكنهم غابوا عنها قسرا .

التقدير كل التقدير للمبدعين الستة الذين وفروا الوقت للمقابلات الصحفية، وتحملوا ساعات التسجيل الطويلة وفتحوا أرشيفهم للبحث عن الصور الشخصية القديمة، ثم فتحوا طواعية طاقة على حياتهم الخاصة لتسجيل رواياتهم الشفوية. شكرا للدكتور رفيق الحسيني رئيس الهيئة العليا لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية 2009 ولأعضاء الهيئة الذي أبدوا اهتماما بتنفيذ المشروع وحرصوا على اختياره ووفروا شروط نجاحه، وشكرا للزميل سهيل ميعاري، من أسرة المكتب التنفيذي لاحتفالية القدس عاصمة الثقافة العربية، الذي تابع بلا كلل صدور الكتاب وأسهم في تذليل العقبات من أجل أن يرى النور.

الشكر للأخ خالد أبو عكر مدير عام شبكة "أمين" الإعلامية الذي وضع إمكانات مؤسسته الرائدة على مدار شهرين لضمان تسجيل المقابلات الصحفية بمستوى حرفي رفيع، والشكر موصول للفنان ظافر شوربجي على تصميمه غلافا متميزا.

وفي الختام الشكر للزميل الصحفي بسام الكعبي الذي بذل جهدا كبيرا لانجاز الكتاب في غضون شهرين من تسجيل للمقابلات وتفريغها وإعادة بناء نصوصها وتحريرها ومراجعتها وتدقيق معلوماتها مع الشخصية المعنية، وقد وظف جيدا خبرته المهنية بألوان الصحافة المكتوبة وخاصة الإبداعية منها: "البروفايل"، من أجل نص بمستوى مهني رفيع. نأمل أن يستحق "أصوات مقدسية" القراءة الجادة ويحوز على استقطاب واهتمام نخبة الثقافة والفكر على المستوى الفلسطيني والعربي.

د. فارسين اغابيكيان
مديرة المكتب التنفيذي
القدس عاصمة الثقافة العربية 2009

أحمد أبو سلعوم:
غول المسرح

مع الرئيس ياسر عرفات

مع الشاعرة فدوى طوقان

1

توقف

الفنان أحمد أبو سلعوم العام 1995 أمام بائعة في السوق الحرة بمطار تونس ليشتري هدية متواضعة بما تبقى لديه من مال محلي متواضع ، طلب زجاجة عطر فسألته البائعة التونسية على الفور : هل ستقدمها لزوجتك خديجة المقيمة في غزة وفاء لصبرها وتحملها طول غيابك القسري عنها ؟

« رمزي أبو المجد »

تفاجأ أحمد من ذكاء البائعة ودقة سؤالها وأبتسم قبل أن يخبرها أن العطر لزوجته في القدس وليس لزوجة أبي المجد في غزة. أيقن أحمد أن البائعة الجميلة حضرت مسرحية "رمزي أبو المجد" وتابعت بدقة متناهية تفاصيل مناجاته لزوجته خديجة في غزة ، وفق دوره المسرحي الذي لعب فيه دور عامل غزي يعثر على جثة قتيل عربي من يافا ، فيتجرأ بتشجيع صديقه وينتزع بطاقته الشخصية الزرقاء مستبدلا بها بطاقته الحمراء ، ليكتشف أن ميتا سلم هويته لميت في إشارة واضحة للتهميش الإسرائيلي الذي يستهدف العرب داخل "الخط الأخضر" والاحتلال العسكري الذي يقيد أبناء الضفة والقطاع.

تنطلق على خشبة المسرح عقب استبدال البطاقة الشخصية لأبي المجد والتنكر تحت اسم مستعار ، المفارقات المضحكة المبكية في حياة صديقين فلسطينيين من غزة ويافا يحمل كل منهما بطاقة شخصية بلون مختلف نتيجة للأحداث السياسية التي عصفت بفلسطين وشعبها العربي.

من هو إذاً الممثل الذي تألق بدور رمزي أبو المجد وحصد أرفع جائزة لأفضل ممثل مسرحي في مهرجان قرطاج الدولي السابع العام 1995 في تونس؟

2

ولد أحمد محمود أبو سلعوم في الثاني عشر من كانون أول العام 1952 في حي الثوري في ضواحي القدس في سقيفة متواضعة جدا كان قد اشتراها والده الشيخ محمود أواخر الأربعينات بمبلغ لا يتجاوز اثني عشر جنيها فلسطينيا :**"كانت ساحة النوم مربعة الشكل بطول وعرض أربعة أمتار والمرحاض خارجي مغطى بخرقة خيش فيما يلتصق بسقفها مجموعة كبيرة من الكيل كأنها قطوف متدلية من العنب من أجل تجميع مياه الأمطار واعتراض طريقها قبل سقوطها على رؤوسنا أثناء النوم، وعندما كنتُ أضع رأسي على مخدتي أترك لأذني فرصة استراق السمع للإيقاعات الغريبة التي كانت تحدثها حبات المطر عندما تطرق بشكل غير منتظم قاع كيل التنك".**

ينحدر أحمد من بلدة الدوايمة الواقعة جنوب الخليل على مسافة قدرها 25 كيلو مترا ، وتعود جذور عائلته إلى عشيرة المناصرة. غادر والده البلدة شاباً يافعاً واستقر في القدس عقب وفاة جده وعودة جدته الأرملة لذويها في مدينة السلط الأردنية : **"استقر والدي في جورة العناب المجاورة لباب الخليل، كانت أرض زراعية تفيض بكروم العنب وتطل على نبعة ماء ، ويرتفع فوقها حي مونتفيوري الشهير الذي شيده اليهودي الثري العام 1839 وحمل اسمه. اشتغل والدي في بداية حياته عتالا ، وروى لنا أنه حمل صندوقا ثقيلا على ظهره لدرجة أن الحبل وشم جبينه بقسوة، وعندما تسلم أجرته المتواضعة رفضها طالبا من صاحب العتلة أن يدفع قرشاً لكل سنتمتر من وشم الحبل المطبوع في جبينه".**

امتاز والده بصوته الجميل في تجويد القرآن الكريم ورفعه للآذان في الجامع إيذانا ببدء الصلاة، كما أنه عازف ربابة من الدرجة الأولى ويردد على أوتارها الأهازيج التراثية الشعبية وقد أورث معظم أبنائه صوته العذب.

عمل والده مع الحاج طاهر صندوقة في البلاط وبات معلما ذائع الصيت في مهنته، تزوج العام 1947 عائشة هادية صيام من بلدة سلوان واستقر في حي الثوري وأنجب محمد ، أحمد ، سالم، انتصار ، حمزة، إبراهيم، إسماعيل، خولة وعفاف. تمكن من شراء بيت جديد تميز بحجره الأحمر وطراز بنائه القديم، ثم استكمل لاحقا بناء وتوسيع المنزل بجهده. شارك في الدفاع عن القدس أثناء مواجهات النكبة العام 1948 ورفض تسليم سلاحه عقب الهدنة حتى قامت القوات العربية بسحب سلاحه بالقوة، وعلم عن المذبحة التي حصدت أهل بلدته وسبعة أفراد من عشيرة المناصرة التي ينتمي لها ومنهم عمه سالم أبو سلعوم وعمته رفقة.

نشر صحافيان إسرائيليان العام 1984 تحقيقا عن فظائع المجزرة وحجمها في صحيفة "حدشوت" وأظهرت وثائق التحقيق الصحفي وحوار القتلة والمشاركين في المجزرة، حجم الكارثة وأساليب القتل التي تعرض لها أهالي البلدة وسقوط مئات الشهداء بدم بارد .

هاجمت العصابات الصهيونية البلدة بعد صلاة الجمعة في التاسع والعشرين من تشرين أول العام 1948 وأطلقت العنان للمسلحين بإطلاق النار على كل حركة في الحارات والطرقات، ولم يتركوا مكانا آمنا إلا وداهموه بما في ذلك جوامع البلدة.

والدوايمة بلدة كنعانية قديمة أطلقوا عليها اسم "بُصقة" أي المكان المرتفع وأقام فيها الفرنجة خلال العصور الوسطى وأسموها "بيتا واحيم" وفيها قبر الصحابي الجليل بشر بن عقبة، وعاش فيها أواسط القرن الرابع عشر رجل صالح يدعى علي الغماري. تعرضت البلدة للتدمير بعد النكبة الكبرى العام 1948 ولم يبق من آثارها إلا القليل وأقيم على أنقاضها مستعمرة "أماتزيبه" العام 1955.

برفقة والدته ووالده وزوجته وأبنائه فوق أنقاض بلدته المدمرة الدوايمة

كلما مر أحمد من باب الخليل أو بوابة يافا يقف قليلا أمام ضريحين متلاصقين على مقربة من مدخل البوابة يتأملهما ويطلق العنان للأسطورة التي سمعها من والده عن الشيخ المدفون في أحد الأضرحة: **"يقال أن جدنا الأساسي الشيخ الغماري جاء قبل 600 عام من المغرب واستقر في منطقة الدوايمة وعراق المنشية وبيت جبرين بعد تعيينه بمنصب تركي، وهو أحد أبناء عبد الدايم الغماري الذي يتمتع حتى الآن بوقف عظيم في المغرب. أرسل له المسؤول العثماني طلبا لجمع ضرائب الأرض من فلاحي المنطقة فرفض لصعوبة أوضاع الناس وقسوة ظروفهم، استدعوه إلى القدس، وعندما وصل المدينة أخبر خادمه بأنه سيتعرض للقتل ويقطعون رأسه وبأنه طاهر وعليه أن يدفنه فورا لئلا يتعرض لنهش الكلاب، ووضعه في أحد الأضرحة التي تحمل الآن نقوشا غريبة غير واضحة وغير مفهومة".**

3

كان والده عاشقا للعلم رغم أنه لم يلتحق بالدراسة، وحمله في يوم ماطر على كتفيه وانطلق به تحت المطر، قرع باب المنزل فاستقبلته سيدة المكان: **" امرأة طويلة نفيض بالوقار، ترتدي ملابس سماوية غامقة ومحتشمة، سألته هذا أحمد؟ أجاب انه أمانة لديك. غادر والدي بسرعة دون أن يترك لي فرصة للتساؤل، سحبتني من يدي باتجاه طالبين وطالبتين يجلسون على فراش بسيط، كانت الشيخة أميرة اشتي من عائلة التميمي المرموقة في الخليل، كانت تعلم في البيت الذي يقع في أطراف حي الثوري القرآن الكريم واللغة العربية. جلست مقلدا زملائي مستمعا بدهشة لمعلمتي الأولى في اللغة العربية والقرآن الكريم"** .

في السابعة من عمره التحق بالصف الأول ابتدائي في مدرسة "الحزينة" التي تبعد نصف كيلو متر عن منزله، كان مبنى المدرسة الذي يعود لعائلة من سلوان يقع في أطراف الحي السكني قرب خط الهدنة الفاصل بين الجيش الأردني والإسرائيلي، وكان المبنى الكبير بساحته الواسعة نسبيا يبدو في الليل شبحا منزويا ومنفردا ولهذا اكتسبت المدرسة شهرتها بالحزينة: **"مديرة المدرسة اسمها وجدان وكانت تشرف على المعلمتين مريم أبو الزلف ودلال، وقضيت اليوم الأول في المدرسة برفقة ستين طالبا وقوفا على الأرجل قبل أن يحضر كل منا فراشا بسيطا وقبل أن تتسلم المدرسة مقاعد صف مهترئة وبحجم كبير تكاد تصلح لطلبة المرحلة الثانوية"** .

ترفع العام 1962 للصف الثاني الابتدائي في مدرسة أحمد سامح الخالدي في حي الثوري، مبنى من طابقين يعود لعائلة العباسي من سلوان، كان يدير المدرسة محمد قدورة ثم أصبح لاحقا مطر نخال تلاه محمد حسنين فهمي ومحمد خضر هلال ثم أحمد المغربي "أبو الحسن".

منذ نهاية المرحلة الابتدائية بدأ احمد نشاطه الطلابي بمشاركته في الإذاعة المدرسية وإلقاء النصوص في المناسبات البارزة مثل ذكرى النكبة ووعد بلفور، ومن المعلمين الذين تركوا أثرا على مسيرة أحمد الأستاذ أبو عرموش الصارم الذي لم تفارق العصا الكستنائية يده يوماً: **"لا اعرف اسمه سوى أبو عرموش وهو من أصول تعود إلى وسط آسيا، قصير القامة يحرص على ارتداء بذلة على مدار العام الدراسي، له نظارات طبية تحت طربوش تركي أحمر لم يفارق رأسه طوال سنوات دراستي، له ملامح جميلة لكن صارمة جدا، ويوم مناوبته في الساحة المدرسية يكون يومنا يقدح نارا، كان يرعب المدرسة، وطوال دراستي في مدرسة الخالدي على امتداد تسع سنوات تلقيت سبع عصي على يدي منها ضربتان من أبو عرموش علمتا طويلا على يدي، وحتى بعد وقت طويل جدا على تخرجي من المدرسة كنت أتجنبه عندما أصادفه يتجول في الأسواق القديمة للمدينة"** .

نجح أحمد في توظيف شخصية أبو عرموش لاحقا في أمسياته الثقافية الكوميدية، بل كتب عدة حلقات تلفزيونية ساخرة وبقالب مسرحي كوميدي استندت إلى شخصية المعلم الصارم الذي طغى حضوره المرعب على المدرسة، وتمكن من التحكم بالشخصية والتلاعب بها وتركيبها وفق رغبته المسرحية انتقاما من رعبه أمامها أيام الدراسة.

من الأساتذة المميزين أيضا محمود الكاظمي الذي علمه اللغة العربية وكمال جبر صبابا من بيت ساحور وقد تميز بالمرح وخفة الظل وعلمه مادة العلوم إضافة إلى الرياضة.

انتقل إلى الرشيدية لمتابعة دراسته الثانوية بعد سقوط القدس في قبضة المحتل، وكان يفتتح النشاط المدرسي صباحا بتجويد آيات من القرآن الكريم برفقة شقيقه الأكبر محمد الذي تميز بعذوبة صوته وقد ورثه عن والده.

4

سيطر الاحتلال على كامل القدس العام 1967 قبل أن يلتحق أحمد في الرشيدية ولا زال يذكر مشهد الاحتلال:

" عاد والدي حزيناً إلى البيت بعد أن تيقن أن باقي فلسطين وقعت في قبضة الاحتلال، وقد عاد من مخفر الشرطة الأردنية يائسا بعد رفض مدير مركز الشرطة تسليمه بارودة واحدة من أربع بنادق موجودة في المخفر لعدم توفر الرصاص، بعد وقت قصير اجتاح جنود الاحتلال حي الثوري وبلغ الحارة التي نسكنها ونفذ حملة تفتيش واسعة، وضع جنود الاحتلال فوهة البندقية في وجه جارتنا الشابة الصغيرة منظومة أبو ارميلة التي كانت ترتدي ثوبا أسود ، انتزع والدي البندقية وتحدى الجندي قائلا له ضعها هنا في صدري وحذره من الاعتداء على النساء".

مسرحية « حمص بليلة » للأطفال

تزايد اهتمامه بالثقافة والنشاط السياسي العام 1968 ولعب بعض مدرسي الرشيدية دورا في تنمية هذه الاهتمامات، وكان من أبرزهم المعلم خليل السواحري الذي حثهم على القراءة والمطالعة الجادة، وتفتحت عينا الفتى اليافع على خطابات جمال عبد الناصر والغناء الثوري العربي ومجموعة من الكتب اليسارية والتقدمية والقومية،

لكن قبل أن ينهي دراسته الثانوية أقدم الاحتلال على إبعاد معلمه في الرشيدية خليل السواحري إلى الأردن في سياق موجة من حملة إبعاد استهدفت كوادر رئيسة في الحركة الوطنية الفلسطينية.

بدأ يراقب الحركة المسرحية أواخر الستينات ويدقق في نشاطها ويتابع خطواتها ، وواظب على حضور المسرحيات التي عرضت في تلك الحقبة "هزيمة الشيطان" للفنانين مصطفى الكرد وأيوب حجازي وقد عرضت في مسرح دار الطفل و"مالك الحزين" الخاصة بالأطفال للمسرحي الأستاذ أبو حمدي من الجليل، وسجل ملاحظاته النقدية الأولى في مقالة خاطفة على مسرحية "قطعة حياة" العام 1971 التي عرضتها فرقة "بلالين" من تمثيل فرانسوا أبو سالم، علي الحجاوي، ماجد الماني، سامح عبوشي ونادية ميخائيل واميل عشراوي، وشارك معهم في نقاش موسع تناول المسرحية وبناء شخصياتها ، وأثار اهتمامه الشخصي أسلوب الفرقة في اعتماد طريقة ارتجال النص المسرحي على الجمهور.

5

شارك العام 1972 بناء على دعوة الكاتب المسرحي محمد الظاهر والمحامي توفيق أبو سنينة بحضور "بروفات" مسرحية "الرقاصين" لفرقة المسرح الفلسطيني التي كانت تواظب على التدرب في المدرسة العمرية المجاورة لجدار المسجد الأقصى داخل أسوار البلدة القديمة، وواصل على مدار ستة أشهر بتقديم اقتراحاته العفوية لأعضاء الفرقة: سمير القباني، عبد قطان، سمير بزبز، روحي عبيدو، ليلى كالوتي وثريا إبراهيم، قبل أن يحصل على دور "المهراجا" في أول عمل مسرحي ظهر به في "الرقاصين". تتناول المسرحية وضع الصحافة الصفراء تحت الاحتلال وكتبها محمد الظاهر وأخرجها فرانسوا أبو سالم. يفتتح "المهراجا" المسرحية باستحضار الصحافة الصفراء على المسرح ثم يغيب عن الخشبة طوال مدة العرض قبل أن يعود في خاتمته ليبدد الصحافة الصفراء ويلغيها بحركة سحرية يطلقها من بين يديه. عرضت "الرقاصين" ثلاثة أيام متتالية في المدرسة العمرية بحضور كبير واهتمام شعبي وثقافي، ورغم الدور القصير للشاب أحمد الذي لم

مع انعام البابا في « ديمقراطي ولكن » تأليف محمود شقير

يتجاوز العشرين من عمره إلا أنه أثبت موهبته المسرحية وشق له طريقا لتلمس موهبته في عالم المسرح.
وقف على الخشبة في مسرحية "حريق الجحيم" إلى جانب الممثلين روحي عبيدو، سمير قباني ومحمد الظاهر. تتناول المسرحية التي استندت لفكرة الشاعر فوزي البكري صراع الاتجاهات السياسية والايديولوجية الفكرية، ولعب فيها أحمد دور الشيخ الذي يخضع كل شيء لمنطق الحلال والحرام.
ووقف بعد ذلك إلى جانب الكوميدي بسام زعمط وجورج إبراهيم في مسرحية "الرجل الذي ضحك على الملائكة" للكاتب المسرحي المصري علي سالم وقد جاء نصه المسرحي تحت عنوان "الرجل الذي ضحك على الأبلسة" وأثبت أحمد أنه كوميدي بارع بامتياز **"حتى أن أحد ملوك الكوميديا الفنان محمود عوض من سلوان خاطب مجموعة من أصدقائه عقب حضوره المسرحية قائلا أنني غول مسرحي".**
عقب انتصار القوات المصرية المسلحة في حرب أكتوبر العام 1973 في مواجهة قوات الاحتلال كتب محمد الظاهر مسرحية "مجمع القبضايات" التي تسخر من حالة العسكرتارية الإسرائيلية وهزيمتها وكسر شوكة الجيش الذي لا يقهر في مواجهة بسالة الجندي العربي، وشارك أحمد مع أعضاء الفرقة: سليمان اللو، راغب دعنا ونكفوري عيسى في ارتجال المسرحية على الجمهور وحثهم على مواصلة النضال حتى التحرر.

6

إلى جانب فرقة المسرح الفلسطيني لمعت فرق مسرحية عديدة بل تنافست على جمهور المسرح وكان أبرزها: بلالين، دبابيس ومجموعة المسارح الموسمية ذات الشوط الواحد تقريبا والتي تظهر مرات قليلة ثم تختفي، وفي هذه المرحلة دخلت تجربة المسرح الفلسطيني منعطفاً جديدا، إذ تمكن المسرح لأول مرة من تفريغ الممثل أبو سلعوم براتب شهري مقداره مائة دينار، وبات أول متفرغ محترف في المسرح الفلسطيني: **"كنتُ أول مسرحي متفرغ براتب جيد إضافة إلى وظيفتي في مصلحة بريد القدس التي عملت بها سنوات عدة حتى سلمني الاحتلال أمرا بالطرد العام 1980، لكني تسلمتُ على الفور مفاتيح مدرسة المطران من مديرها عطية مصاروة لمواصلة نشاطاتي المسرحية، فيما كانت قاعات نقابة الحدادين وأندية الهلال المقدسي والثوري وسلوان تحت تصرفنا، وفي تلك الفترة عرضنا مسرحية "سنزرع الأرض من جديد" بمشاركة أيوب حجازي وأسامة صلاح الذي لمع كرجل أعمال ناجح في الولايات المتحدة وعاد منذ سنوات ليستقر في القدس. كلما أتذكرُ المسرحية يصعد في داخلي على الفور المقطع الذي أعشقه وأردده بصمت وتأمل: نيال من مات فوق أرض بيزرعها ويا ويل من عاش ورغيفه بيد الغير".**

شهدت مدرسة العمرية في اليوم الأخير من شباط العام 1975 أحد أبرز أوائل مهرجانات المسرح الفلسطيني في القدس بمشاركة معظم الفرق الفلسطينية: **" استمرت عروض المهرجان على مدار أسبوع كامل رغم برودة الطقس وتدني درجات الحرارة وسقوط الثلوج، وتابع الجمهور المسرحيات بشغف كبير متجاوزا الطقس البارد ، كنتُ لأول مرة أشارك كممثل ومخرج ومعد في المهرجان، وشاركتُ بمسرحية الرسامين التي تتناول دور الفن في التغيير" .**

ورغم النجاح الذي مَهَر المهرجان إلا أنه سجل انقساماً بصفوف فرقة المسرح الفلسطيني في أعقاب نتائج انتخابات الهيئة الإدارية التي لم ترق للبعض ، فانقسمت الفرقة ، وبذل أحمد بمساعدة زملائه يونس سمرين ، إبراهيم قراعين ، سميح النوباني وخولة الكرد جهدا صادقا بهدف تجميع الطاقات لمتابعة المسيرة . نجحت الجهود الجماعية وتمكن الفريق من عرض "مراكز التفتيش" التي تبرز معاناة المواطنين وإجراءات الاحتلال في التدقيق بامرأة حامل واستدعاء الخبراء لسماع صوت جنينها الذي يهتف للمقاومة ، ولعب أحمد دور الراوي في المسرحية إلى جانب الممثلين فهمي الششتاوي ومحمد أبو صوي .

عرض العام 1976 مسرحية "عند اللزوم" بمشاركة شفيقة الطل بأول ظهور مسرحي لها في القدس عقب انتقالها من أريحا والتحاقها في كلية دار الطفل وبمشاركة الفنانين حسام أبو عيشة ، حمدي الطويل وسمير قباني . قام أحمد بدور حامد قائد المجموعة المسلحة التي يكشفها الاحتلال ويعلن جائزة لمن يدلي بمعلومات عنها ، تتوزع الخلية المقاتلة في المدينة فيما يتنكر حامد بملابس عجوز ، ويتردد على فندق تمتلكه شفيقة الطل وشقيقها وديع طلباً للعمل ، لكن الشاب وديع يستطيع كشف الخلية التي تتواصل مع بعضها عبر نقطة الفندق ، ويحاول تسليم المجموعة للاحتلال

يتوسط سهى قراعين ، على يمينه ، وسميرة ناطور ومحمود أبو الشيخ في « أوادم »

للحصول على مبلغ من المال لعله يساهم في تسديد ديون الفندق المتراكمة، ويثبت أمام أسرته بأنه غير فاشل أو كسول ويمكن الاعتماد عليه، لكنه يصطدم بشقيقته التي تقتله في نهاية المسرحية وتضع حدا لخيانته: **"تواصل عرض المسرحية عشرات المرات على نطاق واسع وشاهدها عدد كبير من المواطنين في وقت تمكنت فيه الحركة الوطنية من انتزاع مجالس البلديات في الانتخابات التي شهدتها مدن الضفة والقطاع، وأذكرُ أكليل الياسمين الذي طوق عنقي على مسرح معهد المعلمين في رام الله عندما نهض مدير المعهد وغمرني به تقديرا للفكرة ومستوى الأداء المسرحي للمجموعة".**

شارك العام 1977 بمسرحية "الطاعون" إلى جانب عبد قطان وكوكبة جديدة من الشبان الموهوبين أبرزهم حسام أبو عيشة ورسالة الشوملي. تروي المسرحية التي كتبها وأخرجها محمد الظاهر "فذلكات" نخبة الفكر والفلسفة والتأمل العبثي لمثقفي الأبراج العاجية في الواقع القائم، وأدى أحمد دور الدكتور أيوب المولع بالتنظير المجرد بعيدا عن تلمس الواقع المجرد الذي يحيط به.

أنتج المسرح الشعبي الفلسطيني العام 1979 مسرحية "الإنسان قضية" عن رائعة الكاتب الشهيد غسان كنفاني "عائد إلى حيفا" من إعداد وإخراج أبو سلعوم، وصمم ملصقها الفنان التشكيلي عدنان الزبيدي. تبرز المسرحية فكرة الشهيد كنفاني بأن الإنسان ليس مجرد خلايا بيولوجية صماء بل نتاج تربية مجتمعية وثقافة أسرية ومعلومات مكثفة تجتاح عالمه، ولذلك لم تتمكن صفية العائدة إلى حيفا من استعادة نجلها الذي نسيته رضيعا بعد رحيلها القسري عن مدينتها في عام النكبة لتعود إليه وقد غير أسمه إلى "دوف" ويعمل في صفوف قوات الجيش المحتل. شارك في المسرحية: أسماء الصديق من الجليل، حسام أبو عيشة، بريهان وناريمان وسفيان المعايطة. لعب أحمد دور "اللبدي" الذي يحاول انتزاع صورة شقيقه من فوق جدار بيته في يافا، فاكتشف ثغرة مرعبة في الجدار فأعاد الصورة مكانها.

توقفت النشاطات المسرحية العام 1980 في أعقاب تشديد القبضة الحديدية ضد الثقافة الفلسطينية ودعوات جيش الاحتلال بمحاصرة مؤسسات الحركة الوطنية على خلفية عملية الدبويا المسلحة في الخليل، وتواصلت العام 1982 أثناء العدوان الإسرائيلي على لبنان واحتلال بيروت. تعرض أحمد خلال هذه الفترة للاعتقال ومكث شهرين في سجن الرملة.

7

أسس العام 1984 مسرح سنابل بمشاركة محمود أبو الشيخ، حسام أبو عيشة، إبراهيم عليوات وحيان يعقوب الجعبة: **"شاركتُ في تأسيس نادي شباب الثوري، وعندما تعرض النشاط المسرحي للحصار تجمعنا معا وقررنا تشكيل مسرح سنابل الذي يواصل حتى اليوم عروضه داخل فلسطين وخارجها، لكن المسرح خسر إبراهيم عليوات أحد أبرز**

مشهد من « الطاعون »

نجومه بعد مغادرته للعمل في الولايات المتحدة، كان عميقا في مستوى إدراكه لفلسفة المسرح ورسالته التقدمية، وكنتُ على تواصل دائم معه حتى المكالمة الهاتفية الأخيرة في مطلع تموز العام 2007، كان صوته عجيبا على غير عادته وردد كلاما غريبا عن الموت، وصباح الرابع من تموز وهو العيد الوطني احتفاء بيوم الاستقلال في الولايات المتحدة، عُثر عليه ميتا بهدوء في منزله، ورحل في مطلع الأربعينات من عمره تاركا خلفه خمسة أطفال لا يتجاوز أكبرهم الثالثة عشرة من عمره ".

«المهرجان" أول مسرحية للسنابل أنتجها العام1985 من إعداد وإخراج وتمثيل أبو سلعوم وبمشاركة عليوات، أبو الشيخ، حمدي الطويل، أكرم كاشور والطفل نضال أبو سلعوم. يؤدي أحمد دور آذن المدرسة الذي يشرف على النظافة العامة ويقدم نقدا لاذعا للمتصارعين على حجز المقاعد الأمامية لحضور مسرحية مدرسية.

تمكن العام 1995 من تسجيل مسرح "السنابل" رسميا في القدس وحصل على ترخيص يتيح له الإنتاج المسرحي :**"حصلنا على الترخيص الرسمي العام 1997 وتبرع محمود أبو الشيخ بجزء من محددته وصنعنا من الكهف بعرق الجبين وعلى مدار السنوات مسرحا صغيرا يتسع لثمانين مقعدا ومقرا إداريا متواضعا لتجمع أعضاء فرقة سنابل وأنصارها".**

ومنذ أواسط التسعينات أنتج سنابل عددا من الأعمال المسرحية أبرزها : "ناطرين فرج" عن مسرحية "اصحى يا البرت" للكاتب جنوب افريقي فوجارد بتوقيع المخرج حيان الجعبة ومشاركة أربعة ممثلين : أبو سلعوم، حسام أبو عيشة، محمود أبو الشيخ وإبراهيم عليوات ويعملون فيها 62 شخصية متنوعة. تروي المسرحية تخبط الشعب الفلسطيني وفقدانه في لحظة حاسمة بوصلة الإجماع للعثور على طريق للخلاص وحل المشكلة المستعصية وتجاوز الأزمة القائمة، ويظهر حجم الصراع واضحا بين طرف ضعيف راضخ ومستكين يمثله أبو سلعوم وآخر متمرد غاضب يحرض على الثورة يمثله عليوات. ومن المسرحيات التي نالت إعجاب الجمهور والنقاد مسرحية "سيدي الجنرال" من تمثيل أبو عيشة وأبو الشيخ،

وتألق فيها حيان الجعبة إخراجا وتمثيلا، وتمكن من تركيب مجموعة مسرحيات مع بعضها بطريقة خلاقة إبداعية وذكية لتروي حكاية التحدي والصراع بين سجين وسجانه في دلالة رمزية واضحة على العلاقة بين الاحتلال وضحيته.

أعد أحمد وأخرج "كلاب وأرقام" استنادا لمراجعته مسرحيتي "مأساة بائع الدبس الفقير" و "جثة على الرصيف" للكاتب السوري سعد الله ونوس، وتتناول الفوارق الطبقية ودورها في اختلال التوازن المجتمعي. والمسرحية من تمثيل عماد مزعرو، أبو الشيخ، أبو عيشة، إيمان سرحان، أميمة نصار ونضال أبو سلعوم.

ابراهيم عليوات في « افراح قرية معمورة » القدس 2003

نجح في مسرحية "ناطرين شو" التي أعدها وأخرجها في خلق "فانتازيا" تبدع في توظيف الأساطير المجتمعية والغيبيات من أجل تثبيت الواقع القائم بكل سلبياته، ولاقى العمل نجاحا كبيرا بمشاركة عليوات ونخبة من الممثلين أبرزهم عدنان أبو اسنينة، أبو الشيخ، جلال دويك، سهى مصالحه ونضال المهلوس، فيما نجح ابنه البكر نضال من تسجيل حضور مسرحي جيد في هذا العمل وبات يعرف باسمه نضال أبو أحمد.

مع عليوات في جلسة حوار حول المسرح

8

أنتج القصبة العام 1995 مسرحية "رمزي أبو المجد" استنادا على نص للكاتب جنوب إفريقي اوثول فوجارد، وتتناول حكاية مواطنين فلسطينيين أحدهما من يافا ويحمل بطاقة هوية زرقاء والآخر من غزة ويحمل بطاقة هوية حمراء، وتعرض المفارقات في حياتهما كفلسطينيين تفصل بينهما وثيقتين بلونين مختلفين، ثم يستسلم الغزاوي لإغراءات صديقه اليافاوي في انتزاع بطاقة هوية زرقاء لأحد موطني يافا القتلى ويعيش متنكرا تحت اسمه المستعار

ومفارقات مناجاته مع زوجته خديجة المقيمة في القطاع. حصل أبو سلعوم في المهرجان السابع لأيام قرطاج المسرحية العام 1995 على جائزة أفضل ممثل على دوره المتميز في المسرحية: **"كتبت الصحافة كثيرا عن دوري في المسرحية، لكن بعض النصوص في الصحافة البريطانية ربطتني بالممثل المرموق شارلي شابلن واعتبرتني النسخة العربية لإبداع شابلن بقرحة معدة ووجع فلسطيني دائم"** .شاركه البطولة في المسرحية الممثل حسام أبو عيشة وهي من إخراج محمد بكري وموسيقى جميل السايح ونص جورج إبراهيم.

أخرج عددا من مسرحيات الأطفال التي أنتجها مسرح سنابل وأهمها : "مدينة السعادة" تأليف الفنان كامل الباشا وشارك في تمثيلها انعام البابا ، تمام قلمبو ، ناريمان منصور ، نداء عيد ، نيفين أبو المجد ، سهى قراعين إضافة إلى أبو الشيخ ونضال أبو أحمد ، وتدعو المسرحية لبناء المدينة السعيدة اعتمادا على التعاون والانتماء الصادق للوطن ومن خلال العطاء والمشاركة الفعالة. وتبنت منظمة "اليونيسيف" مسرحية "حمص وبليلة" من تأليف وإخراج أبو سلعوم التي تحض الأطفال على تناول المأكولات الشعبية لأنها تغذي الدم وتفيد الصحة وتحرضهم على تجنب الوجبات المصنعة. وعرضت مسرحية "عيلة ولا أحلى" مئات العروض بالتعاون مع وزارة الصحة الفلسطينية وذلك منذ إنتاجها في العام 2004 كونها مسرحية تربوية كوميدية، وهي من تأليف أبو عيشة وأبو سلعوم وشارك فيها لأول مرة سهى قراعين وشادن زماميري.

أخذت السينما جزءا من نشاطاته وقام بتمثيل عشرة أدوار مختلفة في مجموعة من الأفلام المتفرقة أبرزها "حيفا" يؤدي فيه دور ضابط في السلطة الفلسطينية يتعرض للشلل، فيما يؤدي الممثل محمد البكري دور المجنون العاقل إلى جانب أدوار مختلفة للممثلين فادي الغول، جورج إبراهيم، أبو عيشة، أبو اسنينة، بسام زعمط وهيام عباس. وضع سيناريو الفيلم وأخرجه رشيد مشهراوي، وقد حصل على أحسن فيلم عربي في مهرجان القاهرة. كتبت الصحافة عن دور أبو سلعوم بأنه سباق مارثوني مع الروعة والجمال في التمثيل. شارك في "عرس الجليل" للمخرج ميشيل خليفي

من اليمين عليوات مع ابو الشيخ ونضال ابو احمد في « والله محاكم »

و "رباب" و"السنونو لا يموت في القدس" للمخرج التونسي رضا الباهي، "درب التبانات" للمخرج علي نصار. كتب مسلسلات للإذاعات المحلية: "الدار دار أبونا" بمشاركة أبو عيشة و"عائلة أبو فكري" وللتلفزيون كتب مسلسل "وشفتك"

9

أنهى دراسته الثانوية العامة العام 1971 والتحق في كلية الحقوق في جامعة بيروت لكنه لم يكمل دراسته وتفرغ للعمل المسرحي وشارك في عشرات ورشات العمل المتخصصة بالمسرح في بلدان عديدة، وكانت أبرز مشاركاته على مدار شهرين في العاصمة الأردنية عمان مع البريطاني جيف غيلهم مؤسس الدراما في التعليم، وشارك في الدورة المكثفة إلى جانب المسرحي ادوار معلم والممثلة ناريمان منصور بدعوة من لينا التل رئيسة مؤسسة نور الحسين، وشارك أيضا في دورة متخصصة بالكتابة الإبداعية في القدس لمدة شهرين مع الكاتب الأميركي هارولد بيرمان الذي كتب نحو مائة سيناريو لمائة فيلم من إنتاج مؤسسة السينما الأميركية الشهيرة "هوليوود". التحق في معهد الفنون المرئية في القدس الغربية ودرس الإخراج والتمثيل، وحصل على دروع تقديرية كثيرة وشهادات تقدير من المؤسسات الوطنية والعديد من الجوائز المحلية.

يتسلم جائزة أفضل ممثل مسرحي في مهرجان قرطاج 1995

مشهد من « رمزي أبو المجد » مع حسام أبو عيشة

ساهم في تأسيس رابطة المسرحيين وترأس هيئتها الإدارية ثلاث سنوات أواسط التسعينات، وانتخب مرارا لهيئتها الإدارية وهو الناطق الإعلامي باسمها منذ ربيع العام 2009، ساهم في تأسيس رابطة الصحفيين مطلع الثمانينات، وكان قد عمل محررا ومراسلا في صحيفة "الشعب" المقدسية والمكتب الفلسطيني للصحافة.

تزوج العام 1974 في العشرين من عمره وأنجب ثمانية أبناء: نسرين، نضال، وائل، شيرين، نيفين، جمال، كمال وأصغرهم محمد في الثالثة عشرة من عمره وله عشرة أحفاد. وكتب لابنته البكر نسرين بعد أيام على ولادتها أوائل آب 1976 مقطعا شعريا جميلا ثم قام بتلحينه وغنائه:

يا وردة خمرية في الجبال

أنت المنى

أنت الهوى والآمال

عمرين يا ابنتي لهمنا لن يكفيا

وترين أن مدافعي لحربي غافيا

نسرين ثوري والدنيا دوري

قولي بغير العنف ليس هناك شافيا

مشهد سينمائي من فيلم « حيفا »

أواخر تشرين أول العام 2009 أحيا أحمد في مخيم الجلزون بمشاركة أعضاء مسرح سنابل، السنوية الحادية والستين لمجزرة بلدته الدوايمة وفاء لمئات من الشهداء الأبرياء الذين قضوا بدم بارد، وتضامنا مع ذويهم في المخيم حيث يعيش عدد كبير من أبناء بلدته، على أمل انتزاع الحق بعودتهم للأرض التي هجروا منها لكن بطريقة مختلفة عن عودة الغزي "رمزي أبو المجد" إلى مدينته الأصلية يافا متنكرا تحت اسم مستعار.

إيمان عون: توظيف المسرح المنبري لنصرة المضطهدين

«تراب وارجوان»

«الشهداء يعودون»

1

نهضت القدس من جمر تاريخها العريق، ووقفت برداء كنعاني فوق الخشبة لتقديم مسرحية "أنا القدس"، لمع صوتها حادا قويا وتركت للتاريخ المرور على خشبتها كخيال. وقفت الممثلة البارعة إيمان عون في دورها المتميز الذي تقمصت فيه نبض مدينة القدس، وأطلقت أحكامها لمحاسبة قادة الغزوات الذين حاصروا المدينة منذ خمسة آلاف عام. .ولا زال بعضهم يستبيح المدينة ويحاول خطف هويتها العربية. أبدعت إيمان في طرح القضية على خشبة المسرح عبر استحضار المحطات الهامة في تاريخ المدينة، وتركت لجمهورها التأمل والضحك الأسود.

«أنا القدس»

كيف عثرت إيمان عون على موهبتها المسرحية؟ وكيف صقلتها؟ بل كيف شقت طريقا حثيثا لبلوغ هذا المستوى من النجاح استحقت عليه عددا من الجوائز والتكريم في مسيرتها الفنية المتواصلة.

ولدت إيمان أنطون عون سنة 1963 في بلدة رفيديا غربي مدينة نابلس، من أسرة هاجر جذورها الأوائل من لبنان إلى فلسطين مطلع القرن الماضي واستقروا في حيفا، ثم انتقلوا إلى القدس، بقي شقيق والدها مع عائلته في حيفا بينما هاجرت عمتها مع عائلتها أثناء النكبة إلى بيروت ومنها إلى الولايات المتحدة.

تزوج والدها في العام 1958 من والدتها ماري نسناس واستقرا بداية حياتهما في بلدة رفيديا ، حيث تسلم عمله في مكتب وكالة غوث اللاجئين قبل تسلمه وظيفة مسؤول مخازن الوكالة في مقرها العام في حي الشيخ جراح بالقدس: **"عشتُ سنتين في رفيديا ، وكلما عدتُ إلى الأماكن الأولى لطفولتي المبكرة جدا يصعدُ رمادا إلى ذاكرتي خيال المكان، وأستعيد ملامح من مشهد بيتي الأول ومسقط رأسي في رفيديا . انتقلت برفقة شقيقي الوحيد والأكبر يوسف ووالدي ووالدتي للسكن في بيت عائلة والدتي في البلدة القديمة في القدس وعشت هناك حتى زواجي في العام 1987"** .

عاشت طفولتها في بيت تاريخي عريق يعود إلى أكثر من ثلاثمائة عام. تفتحت عيناها بين جدرانه على عالم مفتوح بالقصص والأساطير ومغلق على حيز المدينة الضيق ، سمعت سردا قصصيا مثيرا للجدات: **"تمكنت جدة أمي من شراء بيت قديم جدا في البلدة القديمة في أواسط القرن التاسع عشر . . تقع دار النسناس بين بابي الجديد والخليل في حي النصارى داخل أسوار البلدة القديمة. عشتُ وشقيقي يوسف مع جدي وجدتي لأمي وجدتي لأبي، كنا ثلاثة أجيال في بيت واحد . امتازت جدتي لأبي أنيسة حداد بالسرد القصصي الممتع، فيما كانت جدتي لأمي حنّه كاليس تعزف على آلة القانون، وتمتلك روح فنانة وبارعة في التطريز وماهرة في نسج الأشغال اليدوية الدقيقة. والدتي ماري نسناس تمتلك براعة عالية في السرد القصصي، سمعتُ مرارا من أمي حكايات عن العائلة وعن أحداث الهجرة وما حصل مع العائلات المقدسية في الهجرة، وعن اسرّ أبيها (جدي) في الحرب العالمية الأولى من قبل الجيش العثماني، وعن استشهاد عمها على يد الانتداب البريطاني مطلع العشرينات، وحكايات عن مقاومة أخوتها وأبناء العائلة لعصابات الهجانا على أسوار البلدة القديمة سنة 1948"** .

2

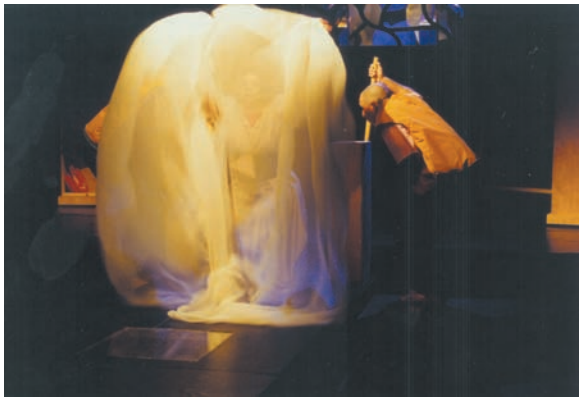

«الشهداء يعودون»

قبل أن تجتاز الرابعة من عمرها داهمتها حرب حزيران العام 1967 ولا زالت تذكر بوضوح دخول قوات الاحتلال إلى بيتها وسيطرتهم على المدينة :**"غادرتُ مبكرا صفي التمهيدي في مدرسة مار يوسف، وعندما دخلتُ البيت كان والدي ووالدتي في المطبخ يستمعان إلى النشرات الإخبارية من جهاز للراديو . نزلنا من الطابق العلوي للطابق الأرضي لأن حجارته القديمة قوية جدا وتتحمل القصف، بدا الطابق**

الأرضي كملجأ حماية من الضربات العسكرية المتبادلة. بعد ستة أيام دخل جنود الاحتلال كل بيوت الحي، واقتحم عشرة منهم منزلنا، ووضع ما بقي في الخارج مدفعا رشاشا على بوابة البيت. اخترتُ زاوية مقابل البوابة الرئيسية وتمترستُ مع شقيقي يوسف خلف أسلحتنا البلاستيكية الصغيرة وحاولنا مواجهة الجنود، أحسستُ أن الحرب انتقلت من الخارج إلى الداخل. فتشوا طابقي المنزل وغادروا.

«أرنب أرنب»

ارتبط المشهد في موضوع الجبروت والاضطهاد والعلاقة القائمة بين الضحية والجلاد، وتعززت قناعتي بضرورة رفض كل أشكال القمع. قد تكون تجربتي الأولى في مواجهة جنود الاحتلال بأسلحة بلاستيكية، ثم تداعياتها الفكرية والفلسفية التي رافقتني سنوات طويلة، قد أثرت على رؤيتي لاحقا بضرورة استجلاب مسرح المضطهدين من الخارج وتوطينه في فلسطين".

وظفت بعفوية طفولية ودون قصد الأزياء الأوروبية الراقية المتراكمة في خزائن البيت عبر ثلاثة أجيال في تقمص شخصيات مسرحية والقيام بتأدية أدوار تمثيلية أمام المرآة: **"كنتُ أفتح خزائن العائلة وأرقبُ الملابس الجميلة جدا بالطراز الأوروبي القديم. كنتُ أتناولها وأرتديها بصورة منتظمة لتأدية أدوار مسرحية أمام المرآة في البيت."**

حضرتْ أثناء دراستها في مدرسة "مار يوسف" أول عرض مسرحي محترف تحت عنوان "العتمة" لفرقة بلالين على مسرح مدرسة الفرير: **"لا يحضرني كثيرا تفاصيل العمل إلا أننا بقينا فترة طويلة في العتمة. لكن المسرحية الثانية التي حضرتها كانت بعنوان "لما انجنينا" لفرقة بلا لين، أذكر أن الممثلين عادل الترتير وفرنسوا أبو سالم كانا يأكلان ورق الجرائد وينزلانه وبعدها يقومان باستعراض الأخبار والعناوين والتعليقات الصحفية والمقالات بمتعة حقيقية وتهكم واضح. أحببتُ المسرحية ولا زلتُ أذكرُ شكل عرضها الدائري".**

بدأت موهبتها بالظهور الفعلي في أول عمل مسرحي شاركتْ به وهي طالبة في الصف السادس الابتدائي عام 1975، تحت إشراف راهبة إيرلاندية. المسرحية عرض إيمائي راقص بعنوان "السامري الرحيم" الذي يروي إحدى قصص الإنجيل. تدور أحداثه التاريخية في الخان الأحمر، الواقع بين القدس وأريحا: **"تكشف الحكاية التاريخية مدى رحمة**

السامريين وتعاطفهم مع الآخرين، وقد أديتُ في هذا العمل دور السامري الرحيم، أكسبني هذا العمل ثقة بأنني خلقت للمسرح" .

3

«أنا القدس»

بدأت في مواجهة الجمهور العام من فوق خشبة مدرسة الفرير للبنين في العام 1977 ، عندما شاركتُ في مسرحية "أحداث الساعة التاسعة" : **"تميزت مدرسة الفرير بتعيينها مدرسا خاصا للمسرح هو الأستاذ وهبة وهبة، الذي كان حريصا على إنتاج عملين مسرحيين في كل عام"** . تابعت نشاطها المسرحي مع انتقالها عام 1979 إلى مدرسة راهبات الوردية في ضاحية بيت حنينا شمال القدس. كما تعلمتُ الموسيقى باعتبارها نشاطا طوعياً . وفي غياب النشاط المسرحي في المدرسة، انتظمت بالمشاركة المسرحية في جمعية الشبان المسيحية تحت إشراف الممثل الكوميدي بسام زعمط : **"كانت الفرقة المسرحية حريصة على تجهيز عملين في العام واحد في عيد الأم، والآخر يعرض على مسرح خاص بالكنيسة اللوثرية، يتناول آلام المسيح ويصور أحداث الصلب والفداء"** .

أنهت دراستها الثانوية بنجاح، وكانت رغبتها بإكمال دراستها في فنون المسرح لكنها واجهت صعوبة في مغادرة القدس إلى جمهورية مصر العربية للتخصص في الحقل الذي تحبه، ولم يكن الخيار أمامها سوى الالتحاق بجامعة بيت لحم : **"التحقتُ في دائرة الخدمة الاجتماعية وعلم النفس في كلية الآداب في العام 1982 ، لاعتقادي أن التخصص يساعد على فهم المجتمع الذي يرتبط أصلا بعالم المسرح"** . تعرفتُ خلال السنة الثانية من دراستها الجامعية على فرقة الحكواتي أثناء حملتهم الدعائية الخاصة بمسرحية "جليلي يا

علي" : **"زرتُ المسرح وتعرفتُ على فريق الحكواتي : فرانسوا أبو سالم، جاكي لوبيك، ادوار معلم، راضي شحادة وزوجته منيرة شحادة، إبراهيم خلايلة ومحمد محاميد . أعادت مجموعة الحكواتي ترميم سينما النزهة التي تعرضت لحريق دمرها في سنوات سابقة لتجعل منها أول مسرح حرفي مجهز بكامل التجهيزات المسرحية. بات الحكواتي نقطة تحول وانطلاق لكثير من الأنشطة والفرق المسرحية الفلسطينية، وامتازت بكونها فرقة محترفة يعيش أفرادها من العمل المسرحي، وتستقبل الأعمال المسرحية للفرق الأخرى، وتنقل القضية الفلسطينية إلى مسارح العالم وبخاصة أوروبا"** .

4

بدأت مشوارها المسرحي مع فرقة الحكواتي في أول عمل لها مع الفرقة عام 1984 بمسرحية "ألف ليلة وليلة من ليالي رامي الحجارة" التي تروي حكاية الفتى الفلسطيني الذي يتحدى الحاكم ويرشقه بالحجارة، وهي مسرحية ملحمية تغطي مرحلة النضال الوطني منذ العام 1936 وحتى ثورة الحجارة، أخرجها فرنسوا أبو سالم، وتم إنتاجها لأول مرة في فرنسا بدعم من المخرج الفرنسي جيروم سفاري وفرقته : **"لعب اثنا عشر ممثلا أدوار مائة وعشرين شخصية على الخشبة، ولعبتُ شخصيا نحو عشرة أدوار طوال المسرحية التي امتدت على مدار ساعتين وربع الساعة من الزمن"** .

شاركت عام 1985 في مسرحية "جليلي يا علي" التي تتناول هوية الفلسطيني داخل "الخط الأخضر" ومحاولات تذويبها بل وضعها في مهب الريح . تروي حكاية الشاب الفلسطيني علي، ملك الفلافل في تل أبيب، وقد غير اسمه إلى أيلي، وتعرض المفارقات التي يعيشها في مدينة الاغتراب . المسرحية من إخراج فرانسوا أبو سالم، وقد استندت على الكتابات الفكرية للدكتور شريف كناعنة المتخصص في علم الإنسان "الانثروبولجي" ، وتجولت الحكواتي بالمسرحية في هولندا ، فرنسا وبريطانيا وعرضت في القدس والجليل والمثلث، ولم يسمح الاحتلال بعرضها في الضفة وغزة : **"دوري في المسرحية متعدد الشخصيات . تميز العرض باعتماد الارتجال كأسلوب للفرقة في بنائها للأعمال المسرحية والإبهار البصري في الشكل الفني"** .

عاشت الحكواتي حالة جدل بشأن الانفتاح نحو الآخر، فالفريق يضم بين أعضائه مجموعة متنوعة ومتعددة الخلفيات، مما كان يثير تباينا أحيانا في وجهات النظر داخل الفرقة . عندما تلقت فرقة الحكواتي لأول مرة دعوة من مهرجان عكا

للمسرح الآخر في العام 1986 ، هناك من طرح فكرة عدم جدوى المشاركة في مهرجانات إسرائيلية، وآخرون تبنوا اتجاها بضرورة المشاركة لخلق حالة من الجدل داخل صفوف الإسرائيليين: **"انتصر رأي الفريق المناصر للعرض، وبعد نقاش ساخن، ذهبنا للعرض في خان العمدان داخل البلدة القديمة لمدينة عكا . أثناء التحضيرات لبدء عرض مسرحية "جليلي يا علي" رفع مستخدمو بلدية عكا العلم الإسرائيلي فوق الخان. وكانت خيارات الفرقة إما الانسحاب أو إنزال العلم الإسرائيلي أو رفع العلم الفلسطيني بجواره. لم يكن سهلا رفع العلم الفلسطيني آنذاك لأن ذلك يعتبر جريمة بنظر القانون الإسرائيلي ويحاسب عليها ، كان الخيار المتاح أمام الفريق إما الانسحاب أو إنزال العلم الإسرائيلي، وبالفعل قام أحد أفراد الفرقة بنزع العلم الإسرائيلي، وافقت إدارة المهرجان على نزع العلم، وفقدت البلدية صوابها . بدأت وسائل الإعلام العبرية بتغطية الموضوع ووجدت فرصتها على مدار أسبوعين بالتحريض ضد الفرقة وتوجهاتها الوطنية"** .

«حكاية قرية سيح شيشبا»

عادت الفرقة إلى عكا في السنة التالية بعرض لمسرحية "العين والسن" بناء على دعوة جديدة تلقتها من إدارة المهرجان، وكان التحدي لإثبات الوجود هنا أكبر، لأن الفريق فوجئ بجماعة كهانا اليمينية المتطرفة وقد علقت مائة علم إسرائيلي في كل زاوية من زوايا المسرح. **"بعد بدء العرض بدقائق تلقت إدارة المهرجان إنذارا بوجود قنبلة داخل القاعة، وصلت الشرطة الإسرائيلية وأخلت المكان لمدة ساعتين. لم يغادر أهل عكا المكان بل واجهوا المجموعات المتطرفة المعتدية، وتصدوا بقبضاتهم للشتائم التي كانت تطلقها جماعة كهانا "الموت للعرب" ، وانتظر الحضور طوال الوقت حتى هدأ الصراخ وأنهت الشرطة حملة التفتيش، فأخذوا أماكنهم من جديد لمشاهدة العرض. وأثناء عرضنا أقدمت مجموعات كهانا على تحطيم معظم السيارات في المكان"** .

حصلت إيمان على إجازة من الجامعة لمدة عام للتفرغ لنشاطاتها المسرحية مع فرقة الحكواتي في جولاتها الخارجية، حيث كانت تعرض مسرحية "العين والسن" التي طرحت سؤال الحب مقابل الحرب وإمكانية صموده بين (طنزع) الفلسطيني و(سارة) الإسرائيلية في ظل الصراع القائم بين الطرفين: **"لعبتُ دور سارة اليهودية التي فشلت في الحفاظ على حبيبها الفلسطيني وقد سقط اغتيالا برصاص أبيها . بدت خشبة المسرح في نهاية العرض مجللة بلون أحمر كالدم وكان مشهدا مثيرا ومؤثرا"** . عرضتْ الحكواتي المسرحية لمدة ثلاثة أسابيع في مسرح الأليدا في لندن ثم طافت بها في عواصم أوروبية متعددة: **"كانت الحكواتي بالنسبة لي المدرسة المسرحية التي صقلت موهبتي وأغنت تجربتي الفنية والإنسانية، فقد طفتُ معها في أغلب عواصم العالم، ووقفتُ على تجارب مسرحية لعديد من المسرحيين العالميين، واستطعتُ من خلالها صياغة حياتي المسرحية، لأن المسرح لم يعد بالنسبة لي مغامرة عابرة، وإنما أصبح نهجا وفلسفة حياة"** .

وبينما كان الفريق يعرض مسرحيته "قصة كفر شما" التي تتناول قضية التهجير وهدم القرى سنة 1948 وحلم العودة، وأثناء جولته في الولايات المتحدة عام 1988 خسرت فرقة الحكواتي مسرحها ومقرها في القدس **"عصفت بالفرقة حالة من الفوضى وكانت أمام خيارين أثنين، إما البقاء في الخارج أو العودة إلى البلاد، ولكن قبل أن يحسم الأعضاء خياراتهم، تشتّت شمل الفريق وشكل راضي ومنيرة شحادة مسرح السيرة، وأقام فرانسوا في فرنسا فيما انتقلت جاكي لوبيك الى هولندا، وعدتُ وادوار معلم إلى القدس حيث أسسنا عام 1991 "عشتار لتدريب وإنتاج المسرح". أنتج الحكواتي رغم الشرذمة والانقسام عام 1990 في سويسرا وإيطاليا عمله المسرحي "البحث عن عمر الخيام" وكان آخر عمل مسرحي لي مع الفرقة"** . تناول العمل الحوار الثقافي العربي الأوروبي من خلال تسليط الضوء على شخصية عمر الخيام، وتميز العمل بضخامته ووجود فريق من الممثلين والتقنيين الأوروبيين فيه إلى جانب الفريق الفلسطيني، تجول في معظم أنحاء أوروبا، ولكنه ظل عملا لاجئًا في الخارج لم يعرض في فلسطين.

5

لم تولد تسمية عشتار من فراغ لتطلقها على المسرح الذي أسسته سنة 1991 مع زوجها ادوار معلم: **"أحببتُ صفات الآلهة الأنثوية "عشتار" والتي تعرفت على دورها الأسطوري عبر ملحمة جلجامش بمساق الدراسات الثقافية في جامعة بيت لحم، ومن خلالها عشقتُ الأساطير وأبديتُ اهتماما كبيرا في تكونها ، ولفتني هذه الآلهة باعتبارها أصل الديانات القديمة. أطلق عليها الكلدانيون آلهة الحب والحرب، وسموها الكنعانيون آلهة الخصب والعطاء ، وأدركتُ أن المسرح يحمل الكثير من صفات هذه الآلهة، فاتفقتُ وادوار على تسمية المسرح باسمها ، مع أن ابنتا البكر عشتار قد سبقت المسرح بالفوز باسم الآلهة قبل ولادة المسرح بعام واحد"** .

انتظم مسرح "عشتار" بتدريب مجموعات من طلبة المدارس الأهلية الثانوية في القدس ورام الله: **"ارتكز مشروعنا المسرحي على فكرة تدريب طلاب المدارس في غياب التدريب المسرحي عن مناهجهم التعليمية، ولغياب المؤسسات**

«عشرون دقيقة»

التعليمية للمسرح في فلسطين. خسر الطلاب أثناء السنوات الأولى للانتفاضة تعليمهم النظامي، وعندما عاد الطلبة إلى صفوفهم وانتظموا في دراستهم، تعرض المنهاج المدرسي لعملية إعدام بحذف كل شيء إبداعي والتركيز فقط على المواد الأساسية، لذا وجدنا أهمية تدخل الدراما كوسيلة لإعادة انخراط الطلبة في العالم الإبداعي وفتح الآفاق الممكنة أمامهم. دربنا الطلبة على مدار السنة بمعدل لقاء واحد أسبوعيا وبشكل مكثف في العطلة الصيفية، وتعاقد المسرح مع خبراء من الخارج وأقام علاقة شراكة مع مؤسسات متخصصة سويسرية وبريطانية، وفرّنا كل التقنيات لإعداد مسرحيين وفنيين من طلبة المدارس وبمشاركة مدربين محليين تحت إشراف خبراء دوليين" .

واظب مسرح عشتار على مدار سنوات عديدة بتدريب طلبة المدارس الثانوية ثم طلبة الجامعات، وتمكن من تخريج ثمانية أفواج من خريجي المسرح في مجال التمثيل، وعزز طواقم الإضاءة والماكياج ووزع الخريجين على المسارح في القدس ومدن الضفة والقطاع: **"استأجرنا في العام 1995 مقرا في رام الله لمتابعة 40 طالبا وطالبة كانوا منخرطين في التدريب المتواصل"** . طور مسرح عشتار برنامجه من ثلاث سنوات إلى خمس سنوات لاستقطاب مواهب وصقلها حسب رغبتها في مجال التمثيل والتدريب المسرحي. وتبنى في العام 1996 فكرة أكاديمية المسرح وعقد مؤتمرا لإبراز التجارب العالمية في هذا المجال، وتوصل إلى توصية بضرورة إدخال فنون المسرح على المنهاج المدرسي: **"عملتُ مع الفريق الأول لصياغة المنهاج الفلسطيني للتعليم الفني في المدارس تحت إشراف المرحوم الدكتور إبراهيم أبو لغد. ثم كتب ادوار معلم منهاج الدراما حتى الصف السادس الابتدائي، ونظم مسرح عشتار برنامجا لإعداد مدرسين للتعليم في**

«حكاية سعيد المسعود»

المدارس، مما عزز أهمية الدراما في المدارس."

اهتم مسرح عشتار بنقل التجارب المسرحية العالمية إلى المسرح الفلسطيني وبناء جسور مع المسرح العالمي: **"كنا حريصين على إنتاج أعمال مسرحية مع طلبتنا معتمدة على الكتابات المسرحية العالمية فجاءت أولى إنتاجاتنا مع طلبة الفوج الأول عام 1993 في مسرحية "جميلة والوحش" للكاتب هانس يوغ شنايدر، ثم مسرحية "أرنب أرنب" للكاتبة الهولندية كولين سيرو، تتناول فيها دور السلطة التي لا تعرف شيئا عن مجتمعها. قدم طلاب الدفعة الثالثة مسرحية "حلم ليلة صيف" لشكسبير. أخرج المسرحيات السويسري بيتر براشلر شريك عشتار في التجربة. جاءت مسرحية "الأمير الصغير" لأنطوان دو سانت إكزوبري والتي أخرجها سامح حجازي مع الفوج الخامس تلتها العديد من الأعمال الطلابية كنتُ قد أخرجتُ بعضا منها، وأهمها "أبناء هرقل" ليوريبدس مع طالبات الفوج الثامن".**

شهد مسرح عشتار أول عمل حرفي بين الممثلين المحترفين والطلبة الخريجين في العام 1995 في مسرحية "الشهداء يعودون" للكاتب الجزائري الطاهر وطار والتي أعاد صياغتها المخرج سامح حجازي، ولعبت إيمان دور "أم العز". حصلت هذه المسرحية سنة 1996 على جائزتين من مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي، الأولى لأفضل ممثلة

«كان ياما كراسي»

وكانت من نصيب إيمان، والثانية أفضل عرض عربي في احتفالات القاهرة عاصمة الثقافة العربية 1996 .

واصل الاحتلال سياسته بتقطيع أوصال الأراضي الفلسطينية، وأصبح من الصعب التواصل مع الجمهور الفلسطيني: **"ارتأينا في عشتار إدخال تجربة مسرحية جديدة إلى أعمالنا، تعتمد على سهولة التواصل مع الجمهور، وتضفي بعدا ديمقراطيا للمسرح، بحيث ينزل من عليائه إلى لغة الناس، ويحاكي همومها. ووقفتُ على تجربة المخرج البرازيلي اوغوستو بوال منظر ومطور مسرح المضطهدين من خلال دراستي للعلاج النفسي بالمسرح – السيكودراما، فأثارتني هذه التجربة وأسرتني"**.

أدخل مسرح عشتار العام 1997 مسرح المضطهدين إلى فلسطين، ويعتبر البرازيلي اغوستو بوال العقل النظري لرؤية هذا المسرح مستندا على نظرية المفكر التربوي باولو فريري، ومسرح برتولد بريخت: **"يتضمن مسرح المضطهدين سبعة اتجاهات عملية، احدها يسمى المسرح المنبري الذي نستخدمه بشكل متواصل في مسرحنا، ويعتبر جذر مسرح المضطهدين لاعتماده أسلوب الحوار لخلق تفاعل سليم بين طرفي النقاش من اجل التغيير. يعتمد المسرح**

«مسك الغزال»

المنبري أسلوب تقديم المسرحية للجمهور ، ويفتح المجال في خاتمتها ليقوم الحضور بالتمثيل عبر حلقة وصل يدعى "الجوكر" وظيفته تنسيق التفاعل بين الخشبة وتفاعل الجمهور . شاركتُ في مسرحيات منبرية، وأخذتُ دور الجوكر في العديد منها ، لكن تجربتي في الإخراج كانت بمسرحيتي "حكاية قرية سيح شيشبا" و"حكاية سعيد المسعود" مع فريق عشتار الحرفي . في التدريب مع طالبات مدرسة مار يوسف في المسرحية المنبرية "كان ياما كراسي" ، ومع طلبة المسرح في جامعة أيوا الأمريكية في مسرحية "مجنون سيطرة" . أهم تجربة في مسرح المنبر كانت مع مستشفى الأمراض النفسية، وذلك بتدريبي نحو 17 مريضا ومعالجا معا ثم تقديمهم خمسة عروض من المسرحية المنبرية "حكاية عمري" في بيت لحم ورام الله" .

«جبابرة الأرض»

«زمن الحيتان»

6

بحث مسرح عشتار في الأدب والحضارة والتراث الفلسطيني والعربي، المقروء منه والمسموع، الظاهر والمستتر، وذلك من أجل تسليط الضوء عليه محليا وعالميا :**"جاءت تجربتي في تحويل الأدب الروائي إلى نص مسرحي في مسرحية "مسك الغزال" عن رواية الكاتبة اللبنانية حنان الشيخ. شاركت معي في العمل الممثلات: تهاني سليم، فاتن خوري ومنيرة زريقي واخرج المسرحية السويسري بيتر براشلر. طرح العرض بجرأة قضايا نسوية يصعب طرقها علنا وعلى الملأ، وقد أثارت جدلا ونقاشا على المستوى الفلسطيني والعربي. عرضت المسرحية في فلسطين ومهرجان قرطاج الدولي في تونس، وفي النرويج والأردن"** .

زادت البرامج وتطلب ذلك الولوج في مشاريع مسرحية تجسر الهوة مع العالم العربي، فجاء العمل المسرحي "من تراب وأرجوان" ليتناول الأساطير الكنعانية وربطها بالحاضر، ويؤسس لعلاقة شراكة فنية بين مسرح عشتار ومسرح "التياترو" التونسي ومرآة ميديا الأردني التي قامت مؤسستها المخرجة سوسن دروزة بإخراج العمل. أنتج العمل احتفاء بألالفية الثانية لمدينة بيت لحم. نال العمل جائزة أفضل تقنية مسرحية في مهرجان قرطاج التونسي في العام 2001، كما عُرض

في مهرجان جرش الأردني وفي عدد من المدن الفلسطينية. لم تتمكن المسرحية من التواصل مع الجمهور فترة طويلة بسبب اندلاع الانتفاضة الثانية سنة 2000.

7

نظمت إيمان سنة 2003 برنامجا تحت شعار "مائة فنان من أجل فلسطين" بالتنسيق مع شبكة المراكز الفنية في رام الله وشبكة المسارح الأوروبي IETM: **"وصل فلسطين تباعا نحو ستين فنانا من مسرحيين وأدباء وسينمائيين من بلجيكا، ايطاليا، فرنسا والسويد. تجولوا في سيارات إسعاف لمشاهدة الدمار الذي خلفه جنود الاحتلال عقب اقتحام مدن الضفة. كتبوا الكثير لدى عودتهم إلى بلدانهم ونظموا المعارض وأنتجوا الأفلام، وكان لنشاطهم صدى على الرأي العام في بلدانهم، وبخاصة بلجيكا وفرنسا، بحكم قيمتهم الفنية الرفيعة في بلدانهم"**.

أعدت وأخرجت عام 2004 لأول مرة عملا مسرحيا محترفا باستخدام الوسائط الفنية المتعددة تحت عنوان "جبابرة الأرض" استنادا للكتاب الشعري "أرباب الأرض" لجبران خليل جبران. تميزت المسرحية بالرقص والغناء وتوظيف الفيديو، وتروي المسرحية حكاية ثلاثة عمالقة وجبروتهم في الأرض. عرض العمل في مهرجان القاهرة التجريبي ولاقى ترحيبا على مستوى العروض المحلية.

تلقّت في نفس العام دعوة للمشاركة في برنامج خاص لتدريب الطلبة في جامعة ايوا الأميركية، حيث دربت طلبة المسرح على تقنيات مسرح المضطهدين وأخرجت لهم مسرحية منبرية، وأبرمت شراكة تعاون مع الجامعة، كان نتيجتها أن حضر العام 2005 كاتب ومخرج من طلبة الماجستير في الجامعة وشاركا في كتابة وإخراج مسرحية "زمن الحيتان" وقيادة ورشة للكتابة مع المهتمين. تناولت مسرحية "زمن الحيتان" موضوع الإرهاب وبيع الأسلحة والإعلام وكشف القاسم المشترك بين هذه الميادين: **"تروي زمن الحيتان قصة أسير في معتقل غوانتانامو الأميركي الشهير على الأراضي الكوبية، يتم الإفراج عنه وترحيله، وتدور الأحداث على ظهر سفينة حيث يلتقي السجين المحرر تاجر أسلحة وصحفية ويدخلون في صراع مركب تظهر العلاقة بين الإرهاب وتجارة السلاح والإعلام"**.

لم يقتصر عملها على التدريب، التمثيل والإخراج والإنتاج بل تعدته إلى الكتابة البحثية والتوثيقية، فشاركت في أوراق عمل عدّة حول دور المرأة في المسرح الفلسطيني، ودور المسرح في خدمة المجتمع الفلسطيني، وكتبت إلى جانب 22 مخرجا وناشطا مسرحيا حول العالم، كتابا حول أهمية المسرح المجتمعي في مواجهة العولمة باللغة الإنجليزية: **"كتبتُ فصلا في الكتاب عن دور المسرح والفنون في النضال الفلسطيني، واستشهدتُ بثلاثة نماذج: أشعار درويش، رسومات**

مع ادوار معلم في «حكاية منى»

ناجي العلي ومسرح المنبر لعشتار" . ساهمتُ أيضا بالكتابة في إصدارات مسرح عشتار في كتاب "من الدائرة للفراغ" ويتضمن حصيلة التدريب في المؤسسة إسهاما بتعزيز قدرات المدربين. وكتاب مسرح المضطهدين: النظرية والممارسة. في السنوية الستين للنكبة أنتجت مسرحية "العشاء الأخير في فلسطين" في محاولة لتوظيف فكرة درب آلام المسيح مع آلام الشعب الفلسطيني: **"افتتحنا العرض بدرب الآلام الفلسطينيين منذ النكبة والتهجير وصولا على مؤتمر انابوليس في الولايات المتحدة. جاءت المسرحية بقالب ساخر ولعبتُ فيها دور الأم التي تسيّر كافة الأمور وكل المجموعة، عرضت المسرحية التي شارك في إنتاجها مهرجان الرقص على الحافة في هولندا، والجزائر، والأردن وفلسطين."**

ومن اجل الاحتفاء بالقدس عاصمة للثقافة العربية وكونها ابنة المدينة ترعرعت في كنفها، رغبت في أن تقدم عملا يحتفي بمدينتها على طريقتها الخاصة. عرضت فكرة مسرحية "أنا القدس" على المسرحي ناصر عمر المقيم في الأردن، وتحمس الأخير لكتابة العمل الذي استند إلى قراءة ومراجعة مجموعة كبيرة من الكتب والأبحاث التاريخية منذ عهد اليبوسيين قبل خمسة آلاف عام وحتى يومنا هذا: **"تتحول القدس على الخشبة إلى امرأة تروي تاريخها القديم وتقدم**

صورة لنفسها ثم تحاسب الشخصيات التي عبرت تاريخها برؤية نقدية. أنا الشخصية الوحيدة ولي ظلال وامتدادات على المسرح بصورة رجل وامرأة، أما من أحاسبهم فهم أشباح المدينة وخيالاتها. عُرضتْ المسرحية في فلسطين والأردن ومهرجان قرطاج التونسي وفي القاهرة".

8

اختبرت إيمان الشاشة الصغيرة كما اختبرت الشاشة الكبيرة، فقد شاركت في بعض المسلسلات التلفزيونية أبرزها عائلة "أبو يوسف" بتوقيع المخرج جورج خليفي، ومن إنتاج العام 1999 ولعبت فيه دور "أم يوسف"، ثم شاركت في عمل

«نساء تحت الضوء»

تلفزيوني آخر العام 2009 بعنوان "الطريق" بتوقيع المخرج نبيل الشوملي وإنتاج مؤسسة معا للإنتاج الإعلامي، ولعبت فيه دورا رئيسيا. شاركت في مجموعة من الأفلام أبرزها "أتمنى" وهو فيلم قصير للمخرجة شيرين دعيبس، والذي حصل

على جائزة الفيلم القصير في مهرجان دبي قبل عامين، شاركت الممثل الأميركي كولن فيرث في أحد أفلامه مع القناة الرابعة البريطانية بعنوان "رهائن". كما قامت بدور casting director لمجموعة من الافلام والمسلسلات.

نالت جائزتها الأولى من مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي في العام 1996، وجائزتها الثانية من منظمة المرأة الدولية برنامج المساواة الآن للعام 2000، وتلقت تكريما من منظمة اليونسكو العالمية للتربية والعلوم في فلسطين وآخر من مهرجان القاهرة لمسرح الشباب في العام 2003، وثالث من مهرجان الجزائر في دورته القدس عاصمة أبدية للثقافة العربية 2009.

حازت على بكالوريوس خدمة اجتماعية من جامعة بيت لحم سنة 1986 ثم تابعت دراستها في معهد القدس للسيكودراما، أي استخدام المسرح في العلاج النفسي. تزوجت الفنان المسرحي ادوار معلم سنة 1987 وأنجبا ابنتهما الأولى "عشتار" سنة 1990 التي تتابع دراستها الجامعية في فرنسا متخصصة في حقل السيرك، وأنجبا ابنهما "ملكار" عام 1993 الطالب في مدرسة الفرندز للبنين الثانوية. والذي شارك في فيلم "أمريكا" للمخرجة شيرين دعيبس وقد حاز على عدة جوائز عالمية.

طرقت إيمان المسرح تمثيلا وإعدادا وإخراجا وساهمت في بعض الكتابات المسرحية وبلورت أفكارا للعروض ثم ساهمت في التدريب المسرحي وصياغة منهاج في الدراما المدرسي وعملت على توطين مسرح المضطهدين في فلسطين وقدمت أوراقا لمؤتمرات بشأن العلاقة بين المسرح والمرأة. وفي سياق كل ذلك لم يغب الشعر عن عالمه، فوضعت ديوان شعرها الأول "كوني ما شئت" أطلقت فيه صرختها الأنثوية وأرقها الوجودي حول المرأة والوطن والحب والحياة، ونقشت في قصيدتها "هاوية" نموذجا من صورها الشعرية:

استحضرُ رموزَ المكانِ أنفلُها هنا:
كتابَ محمّد، شعرِ محمود
صليبِ عيسى، صخرةِ بطرس
عصا موسى ومزاميرَ داود
منذُ الخطيئةِ الأولى حتى الغفرانِ الأخير
لا شيءَ سينأى هذه الكأس
الممتلئةِ فوق رؤوس العباد
المستطردون في دورانِهم اللولبي
يلاحقون أطيافَهم السرمديّة

يكنِزون أسرارهم
ويحتفظون بماءِ الوجه
ماءٌ شحيح
وجوهٌ مدميّة
عيونٌ فارّة من حدقاتِها
وأفواهٌ فاغرة
الساقطون غيّروا وجهَ الهاوية
الماضي منها والمؤجّل
كيف نعبرُ التاريخ
ونحن لم نحمل أسوارَ عكا
إلى الزمنِ الغائب
لم نفترشْ ساحةَ حطّين
كي نمارسَ البغاء المقدس
ترى!
هل سنُطلّ من نافذةٍ
على شرفةٍ تعانِق المتوسط؟
وحديقةٍ غائرة خلفَ النهر
يلعبُ فيها أطفال
نسَوْا لهيبَ الكلام
لسعَ الصّبر والصّبار
واحتقانَ البراءة؟!

بهاء البخاري: الكاريكاتير ينتحر في غياب الحريات

برفقة خليل الوزير «أبو جهاد» في معرض للرسم في الكويت

مع الشاعر محمود درويش

1

غاب عن بيته في الزاوية البخارية على جدار المسجد الأقصى الشريف داخل أسوار القدس القديمة نحو ثلاثين عاما قبل أن يعود ليتأمل كبرياء حجارة المنزل الواسع، ثم يطل منه على قبر جده الراحل الشيخ يعقوب في الفناء، ويدقق في القوس الذي يربط الزاوية الإسلامية بكنيسة مدرسة الراهبات.

عندما اشتدت وطأة الغياب عن زهرة المدائن خلال إقامته في تونس مطلع التسعينات بعد حقبة طويلة من النفي والتنقل القسري، استعاد بهاء البخاري المكان من ذاكرته واستحضر القدس إلى منفاه بمائة لوحة زيتية متميزة شكلت ثروة فنية لا تقل في قيمتها ومستوى جودتها عن مائة ألف كاريكاتير رسمها البخاري في مشواره الفني الطويل، وقد بدأ مسار إبداعه مبكرا منذ أن تعلم فنون الرسم بأدوات والده رشيد خريج الهندسة المعمارية من إحدى الجامعات الفرنسية في باريس. .كيف نجح بهاء في توظيف واقع عائلته ثم الظروف التي حاصرته لاحقا من أجل منافسة القامات الكبيرة التي تتربع بلا منازع على عرش فن الكاريكاتير العربي؟

رضيعاً بين يدي جده يعقوب – القدس 1944

ولد بهاء في الثالث عشر من كانون ثاني العام 1944 في المستشفى النمساوي (الهوسبيس) في القدس القديمة، وخطط والده رشيد لتسميته يعقوب على اسم جده، لكن والدته حلمت في ليلة الولادة بقدوم بهاء، وفي الصباح أخبرت زوجها بحلمها وبالاسم الجديد لنجلها، طلب منها أن تتكتم على الموضوع تحت إصراره بأن المولود الجديد لا يمكن إلا أن يحمل اسم جده يعقوب، رضخت للأمر رغم أنها حاولت توضيح رؤية نجلها وسماع اسمه في حلمها: **"غادر والدي المستشفى باتجاه المنزل في الزاوية البخارية ليخبر جدي بالخبر السعيد بقدوم يعقوب الصغير،**

صمت جدي قليلا كما علمتُ لاحقا وأخبر والدي بأن اسمي سيكون مركباً "محمد بهاء" وليس يعقوباً . أجهش والدي بالبكاء وأخبره بقصة الحلم الذي شاهدته والدتي في ليلة ولادتها . وتحمل شهادة ميلادي الرسمية اسم محمد بهاء فيما الاسم المتداول هو بهاء" . وحمل شقيقه الأصغر اسم يعقوب ثم تلاه شقيقه علاء وله خمس شقيقات أكبرهن كلثوم.

2

وصلت العائلة من مدينة بخارى في أوزباكستان، وتعود للشيخ عبدالله البخاري مؤسس الطريقة النقشبندية منذ سبعمائة عام. استقر مؤسس الزاوية البخارية في القدس منذ أربعمائة عام عقب تأديته مناسك الحج في مكة المكرمة ووصوله لتقديس حجته في الأقصى الشريف فأستقر بجوار المسجد وأسس زاويته التي تطل على الأقصى: **"تبعد الزاوية بضعة أمتار فقط عن باب الغوانمة أحد أبواب الحرم القدسي الشريف، ومئذنة جامع الغوانمة ملاصقة تماما للزاوية البخارية التي تحمل أيضا اسمي النقشبندية والأزبكية. تقسم الزاوية مناصفة بين الوقف الذري لأفراد العائلة والأوقاف الإسلامية وفق نصوص وقفية الزاوية. تحتوي الزاوية المربعة الشكل على مسجد ونحو أربعين غرفة للإقامة، يستخدم جزء منها لتأدية طقوس الطريقة الصوفية النقشبندية، ويستخدم جزء آخر منافع عامة لاستقبال الحجاج القادمين للديار المقدسة، ويعيش في جزء ثالث أفراد العائلة. تحمل الزاوية سمات البيوت العربية القديمة وفيها مدخلان: واحد للرجال والحجاج والمتسوقين وغيرهم ويدعى بالتركي السلملك وآخر للنساء ويسمى بالحرملك وجزء ثالث يستخدم لأفراد العائلة. كانت المحكمة الشرعية تحجز عدة غرف في الزاوية، فيما كان قوس الزاوية لفترة طويلة مقر قاضي القضاة إلى جانب غرفتين للمراجعين"** .

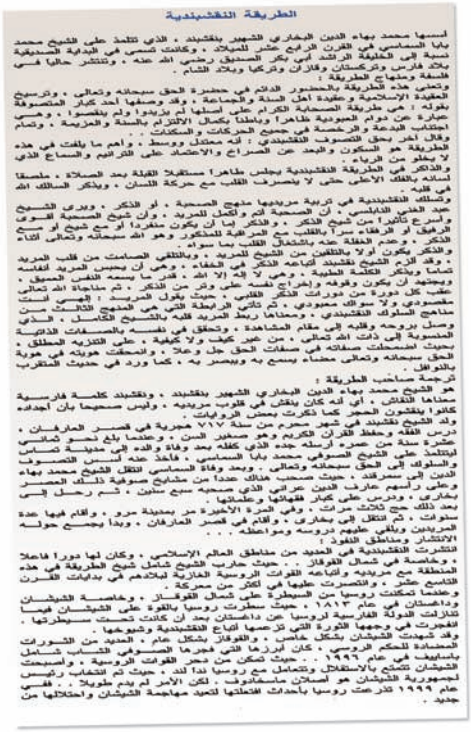
الطريقة النقشبندية

عاش بهاء طفولته المبكرة في الزاوية وتنقل بين غرفها وقوسها الذي يشكل جسرا بين الديانتين الإسلامية والمسيحية: **"قوس الزاوية مقدس لدى المسيحيين ويشكل جسرا للتآخي بين الديانتين، ويمر أحد مداخل كنيسة صهيون مقابل إحدى بوابتي**

الزاوية. عشتُ سنواتي الأربع الأولى في هذا القوس مع راهبات كنيسة صهيون التي لا زالت تحمل في سجل تشريفاتها بمدخل الكنيسة لوحة تقديرية لجدي الشيخ يعقوب الذي وفر لهم الحماية في الحقبة العثمانية كونه كان ضابطا في الجيش التركي".

قوس الزاوية

حافظ جده الشيخ يعقوب على مكتبة الزاوية العريقة بل أضاف لها مجموعة من الكتب النادرة وقد عرفت الزاوية بمكتبتها التاريخية، وحتى أن بعض الكتب القيمة في مكتبات القدس التاريخية تم استعارتها في حقبة ماضية من مكتبة الزاوية البخارية: **"كان جدي الشيخ يعقوب من قضاة القدس أيضا ومدير أول متحف إسلامي مقدسي، وأنجب ثمانية أبناء حرص على تعليمهم في المدرسة الرشيدية، توفي العام 1956 ودفن في الزاوية البخارية. تسلم شؤون الزاوية عمي الشيخ موسى لأن والدي وهو أكبر أبنائه لم يتابع دراسته في الأزهر الشريف في مصر بناء على رغبة والده، وصمد ستة أشهر في المعهد الديني المرموق، لكن حبه للفن دفعه لمغادرة القاهرة إلى باريس العام 1930 ودراسة الهندسة المعمارية في إحدى جامعات باريس، وعاد مهندسا معماريا للمدينة وعمل في بلديتها حتى العام 1948".**

جدته لأبيه من أصول تركية بخارية وتدعى كلثوم، تزوجها جده يعقوب في اسطنبول وكانت في الثالثة عشرة من عمرها وعاد بها إلى القدس. غادرت جدته لأمه عديلة المملوك مدينتها القدس، واستقرت في القاهرة بعد زواجها من الشيخ محمود عادل الخيري وكيل وزارة الأوقاف المصرية العام 1925، لكن عندما أنجبت ابنتها الوحيدة توفي زوجها الخيري فاضطرت للعودة إلى ذويها في القدس وتزوجت رجلا من عائلة الأنصاري، وعندما تزوجت الابنة اليتيمة نافعة الخيري من المهندس المعماري رشيد البخاري، أطلقت اسم حماتها التركية كلثوم على أول بناتها.

3

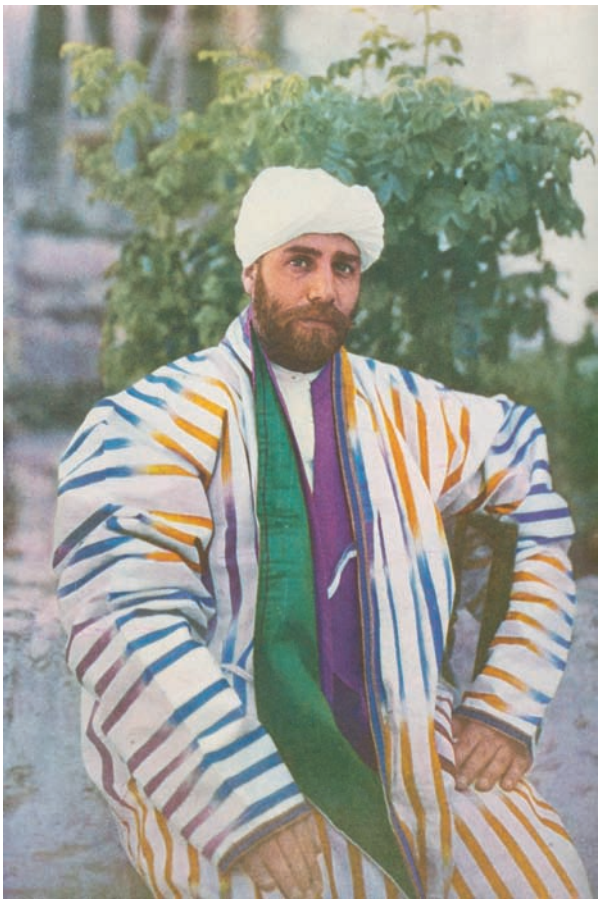

الجد يعقوب البخاري – القدس 1927

هبطت النكبة العام 1948 على طفولة بهاء وانتزعته مبكرا من الزاوية التي عشقها وأبعدته طويلا عن مكان شغف التدقيق بحجارته القديمة وملامسة تاريخ أجداده: **"كنتُ في الرابعة من عمري عندما أجهزت الحرب على وظيفة والدي في بلدية القدس، وقرر الرحيل إلى عمان ثم تابع بعد فترة قصيرة رحلته القسرية إلى الشام. التحق بوظيفته كمهندس في وزارة البريد والاتصالات، واستقرت الأسرة في دمشق القديمة في حي الجسر الأبيض قرب الصالحية وبجوار جامع الشيخ محيي الدين أحد الأولياء الأتقياء. دخلتُ رياض الأطفال في مدرسة الوردة البيضاء قرب البيت في منطقة الطلياني، ثم تعلمتُ في مدرسة عمر المختار الابتدائية في الصالحية تلاها مدرسة البحتري. عشتُ في دمشق القديمة فترة من طفولتي ولمستُ فيها روح القدس، وخاصة أني بدأت أدرك بعدي عن بلدي وأطرح الأسئلة بصورة دائمة عن سر هجرتنا. كنتُ مسكونا بحجارة البيوت القديمة التي لا تفارقها يدي أثناء الذهاب إلى المدرسة والعودة منها، كنتُ أشعر بإحساس غريب عند تلمس هذه الحجارة التاريخية التي شكلت شاهدا على حضارة البشر وثابتا متماسكا على رحيل الأفراد وغيابهم".**

أدرك والده موهبة ابنه المبكرة في الرسم وعلمه فنون استخدام الخطوط: **"لمعت موهبتي في المدرسة، وكنتُ حريصا على رسم الوجوه والملامح، وفي طريق عودتي إلى البيت أحفظ بذاكرتي الأماكن بدءا بالجامع الأموي مرورا بالحارات القديمة ثم أرسم عند المساء المشهد على الورق وأتابع تصميم الألعاب بأشكال مختلفة لشقيقاتي. أول رسم ظهر لي كان في زاوية للهواة بمجلة الجندي وقد طرت فرحا بها عندما شاهدتُ اسمي تحت رسم للهواة".**

حرص والده على اصطحابه لدور السينما بشكل دائم وزيارته للمعارض الفنية المختلفة بما فيها معارض أصدقائه الفنانين

والده ووالدته والأشقاء – القدس 1948

وقد تعرف عليهم من خلاله: **"تعرفتُ على أكبر الفنانين: ناظم الجعفري، عبد القادر ارناؤوط، عفيف بهنسي ولؤي كيالي القادم من ايطاليا ومؤسس دار الفن الحديث. شاهدتُ لأول مرة برفقة والدي معرض الفن الحديث للفنان كيالي، لم تدهشني وكنتُ أقول بسري أن اللوحات التي تشغل ذهني شيء آخر ومختلف. أدرك أصدقاء والدي مستوى موهبتي ولكني كنتُ أخجل البوح للفنانين الجعفري وكيالي بأنكما لا تشكلان مثلي الأعلى في الفنون وخاصة أنهما محط إعجاب والدي"**.

4

لم تكتمل عناصر معرفته الفنية في الشام، لكن الفتى جمع الخيوط وغادر بها برفقة عائلته إلى الكويت. اضطر لمغادرة دمشق فتى دون الثانية عشرة برفقة أفراد أسرته عندما تسلم والده عقد عمل العام 1956 للالتحاق بوظيفة مهندس في وزارة الأشغال العامة بدولة الكويت في إطار توفير الخبرات السورية للدولة الناشئة: **"التحقتُ بمدرسة حوَّلي المتوسطة بمستوى أقل مما كنتُ في مدارس الشام بذريعة اختلاف المنهاج المدرسي، وكانت مدرستي تطل على بيتنا المستأجر في الكويت. علمني في المدرسة مجموعة من الأساتذة الجزائريين الذين كانوا يساندون الثورة الجزائرية وأبرزهم عثمان سعدي**

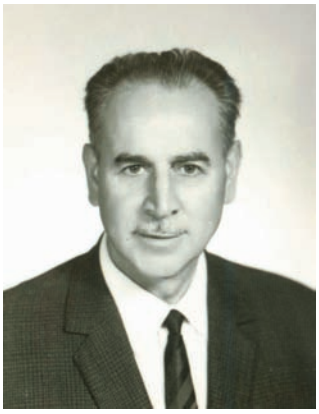

والده رشيد البخاري

معلم اللغة العربية، وقد تبين لاحقا أنه من قادة الثورة الجزائرية، محمد شرحبيل معلم الدين الإسلامي ومروان معلم الجغرافية، وقد ربطتني بهم علاقة احترام وصداقة. علمني الموسيقى الأستاذ السوري ياسر المالح، وأحببتُ من الآلات الموسيقية الكلارنيت والأكورديون، وتعلمتُ حفظ اللحن وشاركتُ بفرقة المدرسة للفنون الثقافية المختلفة".

تعلم في المدرسة أربع سنوات حتى اضطر والده للعودة إلى وظيفته في الشام العام 1960 بدعوى انتهاء فترة الإعارة لدولة الكويت: **"رجعنا إلى الشام ودفعنا ثمن أخلاق والدي الذي آثر المغادرة لئلا يتعرض للمساءلة تحت طائلة قانون الإعارة السوري. كانت المخالفة وفق القوانين السورية تقتضي دفع غرامة لا تتجاوز 25 ليرة لكنه لم يكن يعرف بهذا الأمر، غادر والدي بغير رغبته وعاد إلى وظيفته الحكومية في دمشق. عدنا جميعا إلى الشام باستثناء شقيقتي كلثوم التي تزوجت واستقرت في الكويت".**

والده في باريس 1930

سجل طالبا في المرحلة الثانوية وخسر أيضا سنة دراسية في سورية بذريعة اختلاف المنهاج الكويتي، وخلال دراسته اتخذ قراره بمساعدة والده في تحمل نفقات الأسرة، وبخاصة أن راتبه المتواضع لا يكفي احتياجات العائلة الكبيرة ونفقاتها الباهظة: **"توجهتُ لشركة تنتج اللوحات الفنية، وكنتُ أرسم المشهد الخلفي بمادة البوية بدل الألوان لقلة توفر المال، وكنتُ أقضي ليلة كاملة من أجل رسم لوحة واحدة أحصل مقابلها على عشر ليرات سورية أشتري بهم هدية لشقيقتي. تابعتُ اهتمامي بالرسم في المدرسة وحصلتُ على شهادة تقدير للطالب الموهوب، ورسمتُ مشهدا للعاصمة دمشق على سفح جبل قاسيون. رسمتُ العام 1962 في جريدة الأيام قصة مصورة تتحدث عن انطلاقة الكفاح المسلح الفلسطيني المرتقب. يروي مشهد الصور حكاية الجندي فارس في صفوف الجيش السوري يقوم بعملية مسلحة للرد على محاولات تجفيف بحيرة الحولة في شمال فلسطين. لاحظ موهبتي الصحفي محمد**

خالد قطمه مسؤول التحرير في الجريدة، وبعد مقابلته قال أنت رسام كاريكاتير وتابع هذه الموهبة باهتمام. علقت جملته في ذهني وأبديتُ اهتماما بتنمية الموهبة واستعدادي لمساعدة والدي ومرافقته إلى مكتبه واستخدام أدواته الهندسية المتوفرة في موقع عمله".

5

أول الغيث

حصل العام 1963 على شهادة الثانوية العامة أو ما يسمى البكالوريا في الشام، وقرر العودة لوحده إلى الكويت من أجل العمل ومساعدة أسرته وتحمل جانبا من نفقاتها الشهرية: **"اشتغلتُ بداية في مؤسسة للدعاية والإعلان، ثم طرقتُ باب العمل في مجلة الرسالة الأسبوعية ويرأس تحريرها الكويتي جاسم المبارك، وكانت المجلة تناصر اتجاها ضد آخر في صراع المحاور داخل التيارات الإسلامية. طلب رسما كاريكاتوريا ضد جمعية الإصلاح التي كانت متطرفة قليلا بأفكارها الأصولية. وضعتُ رسما نقديا وقاسيا بحق الجمعية، وكان أول رسم لي في المجلة بعد إقامتي في الكويت، فأغلقت وزارة الداخلية المجلة على الفور. انتشر النبأ أن رسما كاريكاتوريا أغلق مجلة الرسالة. علم الصحفي الحموي السوري محمد قطمه رئيس تحرير جريدة الرأي العام بوجودي في الكويت، وقد اكتشف موهبتي في الشام. اتصل بي وعرض وظيفة في الجريدة، وواظبتُ على رسم كاريكاتوري منتظم ويومي. للحق لعب الأستاذ قطمه دورا رياديا في تأسيس الصحافة الكويتية، وقد توفي في الشام مطلع العام 2009 ".**

ابتكر في رسوماته شخصية أميغو أبو فيصل بقبعة مكسيكية وذلك استنادا الى ملامح صالح شهاب وكيل وزارة الثقافة الكويتي التي تميزت بقصر القامة والسمنة والبشرة السمراء الداكنة: **" تسلم نشاطات السياحة في الوزارة وغادر في تلك الفترة على رأس وفد للمكسيك للترويج السياحي، رسمته ساخرا بدشداشة كويتية وقبعة مكسيكية وأطلقتُ عليه أميغو أبو فيصل، الغريب أنه لم يتضايق على الإطلاق ووجه لي دعوة**

لزيارته في الوزارة واكتشفتُ مرحه ودماثة أخلاقه، وشجعني على مواصلة اعتماد شخصية أميغو أبو فيصل، وقد تمكن من استثمارها جيدا في وظيفته بدائرة السياحة. بعد سنوات على الرسومات جمعها كلها وافتتح بها أول معرض دولي لرسوماتي في بروكسل وكان قد أصبح وكيلا لوزارة الثقافة" .

تعرف أواسط الستينات على مجموعة من نخبة الثقافة الفلسطينية: رسام الكاريكاتير ناجي العلي وقد تابع رسوماته في مجلة الطليعة القومية اليسارية الأسبوعية، وزادت معرفته به بعد تعاقده مع رئيس تحرير "السياسة" أحمد جارالله للنشر اليومي في الجريدة التي باتت تنافس صحيفتين يوميتين هما الرأي العام وأخبار الكويت. الكاتب المرموق غسان كنفاني في لقاء عابر قبل مغادرته إلى بيروت لرئاسة تحرير مجلة "الهدف" الناطقة باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. الفنان التشكيلي إسماعيل شموط الذي كان يرأس اتحاد الفنانين الفلسطينيين وقد تعرف عليه من خلال الصديق المشترك الطبيب محمد عيسى من منطقة رام الله، وقام برفقته بزيارة الفنان شموط في البيت.

أثناء عمله في صحيفة الرأي العام سعى صاحبها عبد العزيز المساعيد لدى الشيخ سعد الجابر وزير الداخلية لضمان حصوله على وثيقة سفر كويتية: **"كنتُ من الفلسطينيين القلائل الذين حصلوا على هذه الوثيقة، وبفضلها شاركتُ العام 1974 بمعرض دولي لرسوم الكاريكاتير أقيم في بلغاريا، وحصلتُ على أول جائزة دولية بالترتيب الثالث للمسابقة التي أقيمت على هامش المعرض الدولي"**. وأقام بعد ذلك أول معرض في فندق "الشيراتون" في الكويت برعاية الشيخ عبد الله الجابر الصباح من العائلة الحاكمة، ومحمد غنيم رئيس مجلس الأمة ونخبة من الدبلوماسيين والمثقفين الفلسطينيين والعرب، وأصدر عقب المعرض أول كتاب تضمن نحو أربعمائة رسم كاريكاتوري من رسوماته ولا زال يحتفظ بنسخة يتيمة منه، وكتب التقديم للكتاب الصحفي السوري محمد قطمه. تشجع في تلك الفترة للانتساب إلى أكاديمية الفنون الجميلة بجامعة(A.F) في مدينة ويستبورت بولاية كوناتكت شمال نيويورك، ويعتبر مؤسسها نورمان ريكويل أحد أبرز الفنانين الأميركيين، ورحل العام 1978 في الوقت الذي حصل فيه بهاء، عبر المراسلة، على دبلوم بالرسوم المتحركة.

من اليمين صالح شهاب وكيل وزارة الثقافة الكويتية في أول معرض للبخاري في بلجيكا

6

عقب نتائج حرب أكتوبر العام 1973 وظهور بوادر فك الارتباط على الجبهة المصرية مرورا بزيارة الرئيس المصري أنور السادات للكنيست الإسرائيلي العام 1977 ابتكر بهاء شخصية "أبو عرب" لرصد الشؤون العربية، وباتت موازية لشخصية أميغو أبو فيصل التي ترصد المشهد الكويتي: **"كنتُ أرسم في البداية شخصية السادات مباشرة، وقد خلق ذلك مشاكل كثيرة وتعرضت جريدة الرأي العام للإغلاق عدة مرات بسبب رسومات الكاريكاتير، وأصدرتْ إدارة الصحيفة أمرا بحظر رسوماتي إذا لم تتغير شخصية السادات**

مع ناجي العلي – الكويت 1985

فيها، واضطررتُ لتعديل الشخصية قليلا بإضافة شارب عربي وحطة وعقال خليجي، ومع ذلك ظلت شخصية السادات قائمة في رسم أبو عرب لأنه قائم في خيالي، وواصل أبو عرب ظهوره اليومي في جريدة الرأي العام حتى أواسط الثمانينات، وأستخدمها حتى الآن في القضايا العربية لأنها تمثل الشخصية النمطية للحاكم العربي".

وقبل أن يغادر "الرأي العام" اكتشف بين عمال مطبعة الصحيفة موهبة فذة في فن الكاريكاتير وقدمها إلى طاقم المؤسسة: **"لاحظتُ موهبة الشاب العراقي هاني مظهر، وتبين أنه خريج كلية الفنون في بغداد. وعرضتُ عليه الانتقال من المطبعة إلى طاقم مجلة سعد ليشاركنا الرسم، وللحقيقة أجاد في خطوطه التي كشفت موهبته في الكاريكاتير. بعد سنوات قليلة غادر إلى جريدة القبس وعمل بجانب المبدع ناجي العلي، وتأثر بشكل كبير في مدرسته وخطوط فنونه، وحاول إضافة لون على رسوم ناجي التي لا يرسمها إلا بالحبر الأسود، لكنها بدت كملصق أكثر منها كاريكاتير، وعندما غادر ناجي إلى لندن لحقه هاني وعمل معه في القبس الدولي، وعقب استشهاد ناجي خريف العام 1987، حاول تقليد**

خطوطه في الكاريكاتير لكن تجربته لم تنجح ثم توقف عنها تماما وتحول إلى الفن التشكيلي".

غادر صحيفة "الرأي العام" في الثلث الأول للثمانينات عقب الانقسام في صفوف حركة "فتح" وتعرض الرئيس ياسر عرفات وقواته في مدينة طرابلس شمال لبنان لحصار سوري بالتحالف مع مليشيات مسلحة، ثم قصف المخيمات الفلسطينية في لبنان لاحقا وحصارها لفترة ليست قصيرة: **"وقف صاحب الجريدة عبد العزيز المساعيد مع الموقف السوري، وتبنى خط التحرير الصحفي لغة معادية لموقف منظمة التحرير، وكنتُ في مواجهة اتجاه الجريدة وسياسة تحريرها، ركزتُ في رسوماتي الأولى على تعقل الطرفين وتجنيبهما شر القتال، لكن مع اشتداد حصار المخيمات وتواصل قصفها المدفعي لم أعد قادرا على التحمل، وغادرتُ المؤسسة كاملة بما فيها مجلة سعد للأطفال والقسم الفني للإعلانات، وخسرتُ جزءا كبيرا من حقوقي المالية بدعوى انسحابي الطوعي من الوظيفة".**

■ ذات يوم في عام ١٩٦٢ كنت أجلس الى مكتبي في جريدة «الايام» الدمشقية حين دخل علي رجل طيب الوجه في شعره بياض الشيب الوقور، وخلفه شاب يرتدي البنطلون القصير وقد حمل معه عدداً من الصحيفة طوى في داخله مجموعة من الاوراق. وفي خفر حدثني الرجل عن هذا الفتى الذي يصحبه: انه ابني بهاء وهوايته الرسم. و بناولني الفتى الاشقر رزمة الورق فاذا بها تضم رسومات بالحبر الاسود.

لم تذهلني الرسومات بدقتها او بحسن في خطوطها وان كانت قد وشت بموهبة في فن الكاريكاتور. لقد اذهلتني الفكرة. عرض بهاء قصة مسلسلة مرسومة تحكي عن خلية من الفدائيين الفلسطينيين تنظم نفسها وتقتحم خطوط الهدنة وتبدأ حربها مع العدو الاسرائيلي في الارض المغتصبة. وابتكر ان القصة وضعت في قالب يجعلها قريبة الى عقل الاطفال، دون ان يعرف صاحبها انه بذلك يجعلها قريبة الى كل ضمير ورمزاً لطريق الحياة للشعب المقهور.

وفي العام ١٩٦٣ جئت الى الكويت، واذا بي وجهاً لوجه امام هذا الفتى الذي ترك دمشق وجاء يبحث عن عمل في مدينتنا الجديدة. وتذكرت كيف ادى نشره قصة الكفاح الفلسطيني المسلح الى اثارة انتباه في اوساط المتتبعين لفن الكاريكاتور في دمشق، فاستقبلته هذه المرة بالامل، واحسست وانا امسك بيده انني اقدم الى الصحافة ريشة فنان. وعمل بهاء بخاري معي ثم ابتعدت عن موقعه حتى التقيته من جديد، و بالصدفة، انبته على هدره عقله وريشته فاذا انضم الى اسرة الانباء كنت السعيد به، سعادة من يفرح للقاء ابنه بعد غيبة عمر.

وفاء منه اختارني الفنان بهاء بخاري لاكتب هذه الكلمة.

ووفاء مني لمهنة الموت التي ادخلته فيها فشق طريقه في براءة وطهر وايمان راسخ، اكتب عنه كواحد من اصدق المعبرين بالريشة عن عشق للوطن وتوق للحرية. من بين رسومه التي تنشر والتي تجاوزت الخمسة الاف لوحة و يزيد اختار هذه الثلاثمائة والستين كما يختار الاب ثلاثة من ابنائه ليكونوا ورثته، من بين عشرات له. اذن فالحكم على بهاء الفنان ممكن من خلال هذه المجموعة، ولكن الحكم على الفنان الذي بشر بولادة الثورة الفلسطينية يبقى ناقصاً ما لم تعرفه. وهانذا اقدمه اليك كما عرفته، متواضعاً في الفرح بصدى الاعجاب برسومه، وخجولا امام كلمة ثناء تقال فيه.

بهاء بدأ الرسم طفلا ولازال بهاء يرسم بقلب الطفل واحزانه. ولم تكبر معه غير ريشته وطاقته الفنية وجمهور له كبير. هذه كلمة من واحد فيه.

محمد خالد قطمة

"عملتُ أيضا في تلك الفترة مع مؤسسة الخليج لإنتاج البرامج المشتركة، وساهمتُ في مسلسل افتح يا سمسم بل صممتُ شخصية نعمان بشكل مركب بين الخروف والدب وكذلك البيغاء ملسون. فتحتُ في تلك الفترة أيضا مكتبا للإعلانات التجارية بمشاركة كفيل كويتي".

7

ظهرت شخصية "أبو العبد" مع اندلاع الانتفاضة الأولى أواخر العام 1987 مستندة على مواصفات كاتب فلسطيني ومحرر بارع يمتلك ثقافة واسعة وكرامة عالية: **"أحببتُ جدا شخصية زميلي الكاتب زهير شبل الذي يُكنى أبو العبد ابن يافا العربية. تعلم في أوروبا وتزوج من نمساوية، حضاري بكل معنى الكلمة ومثقف كبير، يتقن عدة لغات أوروبية وعمل محررا في جريدة "الكويت تايمز"، ويكتب بتوقيع أسطوري "تيرا فيرما"، ورغم عصبيته الزائدة وضجره وتبرمه الدائم، إلا أنه كان بسيطا جدا لا يتحدثُ إلا بعفوية اللهجة القروية الفلسطينية ودون زيف، وزهير غير مدعي ولا يقدم نفسه إلا بتواضع تستند على كرامة عالية حقيقية بعيدا عن الكبرياء المزيف. كنتُ حريصا على لقائه بصورة منتظمة في الكويت كلما نجحت في خطفه من وظيفته ومشاغل أسرته، كنتُ أشعرُ عندما أعثر عليه أن فلسطين كلها حاضرة في اللقاء، أضحكُ وأنزفُ من أعماقي لحظة استماعي بشغف لتعليقاته التلقائية مستخدما مصطلحاته الشعبية التراثية ومبتكرا مفردات خاصة به، عند تقييمه لكل ما يدور من أحداث وتسكبُ فوق طاولة حوارنا سيرة شخصيات نعرفها. صَعدتْ شخصية "أبو العبد" لرصد الشؤون الفلسطينية بدقة إلى جانب شخصية "أبو عرب" المتابعة للشأن العربي، في وقت أخذت رسوماتي تغادر بالتدريج الشأن الكويتي وتودع شخصية أميغو أبو فيصل، وتهتم أكثر بالشأن الفلسطيني وتحفر فيه مع تقدم الانتفاضة. أعترفُ أن لزميلي المتميز زهير شبل، الذي لا أعرف عنه شيئا منذ عشرين عاما، الفضل في بريق شخصية أبو العبد اللامعة على الورق منذ ولادتها قبل اثنين وعشرين عاما".**

بدأت الحكومة الكويتية مع توسع رقعة الحرب الإيرانية- العراقية بالتشديد على بطاقات الهوية والإقامة وجوازات السفر المنتهية الصلاحية للمقيمين العرب: **"باتت القوانين صارمة وتقتضي أن يبرز كل مقيم جوازه الأصلي الذي دخل به للبلاد لضمان تجديد البطاقة المدنية التي تشكل كلمة السر للتعاقد الوظيفي وتسجيل الأبناء في المدارس والتعامل البنكي وترخيص السيارة ومراجعة الدوائر الصحية وغيرها، وباتت البطاقة كل شيء عمليا لضمان تسيير شؤون الحياة اليومية. شعرتُ أن الأرض سقطت من تحت أقدامي ولعنتُ اللحظة التي وصلت بها إلى الخليج، واضطررتُ لمغادرة الكويت العام 1988 لتجديد وثيقة سفري السورية المنتهية الصلاحية منذ اثني عشر عاما. وزاد الأمر تعقيدا تعرضي لعملية نصب كبيرة باستيلاء شريكي الكويتي على شركة إعلانات تجارية أملكها، لكنها مسجلة باسمه بحكم القوانين السارية في الكويت".**

توجه للسفارة السورية التي أخبرته بضرورة مغادرته إلى دمشق لضمان تجديد وثيقة سفره: **"غادرتُ مجبرا الكويت بعد خمسة وعشرين عاما من العمل دون مال، وفي المطار قامت أجهزة الأمن السورية بواجب الضيافة. كانت محنتي قاسية**

معرض الكويت

في الشام على مدار عام ونصف تقريبا : كنتُ بلا عمل ودون مال، والدي مريض في دمشق، وأفراد عائلتي في الكويت، وعودتي باتت مستحيلة دون تأشيرة دخول ووثيقة سفر. صمدتُ مرغما حتى وفاة والدي العام 1989 وعادت عائلتي إلى الشام، وتمكنتُ من تجديد وثيقة سفري وغادرتُ إلى ليبيا مطلع التسعينات التي لم تكن تطلب حينها تأشيرة دخول لحاملي الوثيقة السورية" .

8

غادر إلى طرابلس عاصمة الجماهيرية الليبية ومكث فيها ستة أشهر ونشرت له الصحف الليبية بعض رسوماته الكاريكاتورية بعد علمهم بدوره في التضامن مع أحمد الزواوي رسام الكاريكاتير الليبي المرموق لدى تعرضه للاحتجاز في تونس أواسط السبعينات : **" الزواوي فنان متميز ورسام كاريكاتير مبدع على صعيد العالم العربي، تعرض للاحتجاز في تونس على خلفية المناكفات السياسية بين البلدين، تعاطفتُ معه كزميل مهنة وشاركتُ في الكويت بفعاليات تضامن نظمتها السفارة الليبية ضد احتجازه، وصدر له كتاب يتضمن مجموعة من أعماله وقدمتُ للكتاب. عُرض علي تسلم منصب أمين بدرجة مدير عام للإشراف على دار الجماهيرية للدعاية والنشر في مدينة مسراطة على شاطئ البحر**

المتوسط، استأجرت لي المؤسسة بيتا وطلبت مني التوقيع على استلام مستودعات كبيرة، رفضتُ وشعرتُ أني سأكون واجهة للفساد القائم، وقررتُ مغادرة ليبيا بعد لقاء مع الرئيس ياسر عرفات في طرابلس وقد شجعني على الاستقرار في تونس".

أقام في تونس خمس سنوات حتى دق ناقوس العودة للوطن عقب توقيع مبادئ إعلان أوسلو في أيلول العام 1993 وخلال هذه الفترة تفرغ على كادر منظمة التحرير، وعمل في صحيفتي الشروق والصباح: **"اكتشفتُ مبكرا أن هامش الحريات في تونس ضيق يستحيل معه رسم أي كاريكاتير لا ينسجم مع التوجهات السياسية القائمة. عَرضَ أحد زملائي التونسيين أمامي مجموعة كبيرة من رسوماته التي حُظر نشرها، وتساءل بحرقة: ماذا جاء بك إلى هذه البلاد؟"**

عمل في "الشروق" بمجال الإخراج الفني فقط، وبحث عن وظيفة في الدعاية والمطبوعات التجارية، ونشر رسومات كاريكاتير مجانية في "القدس العربي" وعندما استقر وضعه في تونس جلب أسرته من الشام: **"إقامتي في تونس كانت محنة على المستوى الشخصي، كنتُ بالكاد قادرا على توفير لقمة العيش لأفراد أسرتي، وغير قادر على رسم الكاريكاتير الذي يحتاج سقفا عاليا من الحريات، وبدأت حرب الخليج لاستعادة الكويت من قبضة القوات العراقية، وتعرضت منظمة التحرير لحصار مالي. في زمن المحنة تفجر حنيني للقدس واستحضرتها بمجموعة كبيرة من اللوحات الفنية، رسمتُ نحو مائة لوحة عن بيت المقدس استحضرتها من خيالي وجسدتها أمامي بالألوان الزيتية، وعندما جاءت لحظة العودة إلى غزة أقمتُ معرضا وداعيا باللوحات الخاصة بالقدس فقط، وافتتح المعرض أواخر العام 1993 الشاعر سميح القاسم وكتب بخط يده كلمة ثناء على الجهد الفني. لم يكن بالإمكان رسم اللوحات الفنية للقدس لولا العرض الذي قدمه لي الأخ صخر حبش "أبو نزار" عضو اللجنة المركزية لحركة فتح: توفير مكان هادئ ومواد للرسم وتحمل جميع التكاليف المالية المترتبة على المشروع. شجعني "أبو نزار" على رسم بورتريه، ملامح الوجه، لقادة الثورة الشهداء. رسمتُ إضافة إلى لوحات القدس مجموعة جيدة ومتقنة لوجوه القادة، حتى أنه أطلق علي لقب رسام الشهداء. ارتفعت اللوحات الفنية للوجوه فوق جدران مكاتب قادة المنظمة في تونس قبل أن تعود برفقتهم إلى مكاتبهم في الأراضي الفلسطينية".**

9

عادت عائلته إلى الشام، فيما غادر بهاء باتجاه قطاع غزة ضمن الدفعة الأولى للعائدين في السادس عشر من تموز العام 1994: **"غادرتُ برفقة أول مجموعة عائدة من تونس على متن طائرة عسكرية هبطت في مطار العريش المصري،**

وتابعتُ برا إلى مدينة غزة، أقمتُ في فندق على شاطئ البحر، ونجحتُ بعد ثلاثة شهور من الحصول على تصريح لزيارة القدس، أجريتُ مجموعة من الاتصالات الهاتفية لبلوغ بيت بنت عمي في باب العمود. جلستُ في المنزل برهة قصيرة، وطلبتُ الإذن لرؤية بيتي في الزاوية البخارية. لم أشاهده منذ ثلاثين عاما في آخر زيارة برفقة والدي وأفراد الأسرة، مكثتُ فيه عشرة أيام فقط ولم أغادر خلالها جدران البيت. انطلقتُ نحو باب العمود وأسواق البلدة القديمة ثم الزاوية البخارية، كان حدسي يقودني باتجاه الأماكن التي أعشقها، شعرتُ وكأني لم أغادر أسوار البلدة القديمة كل هذا الزمن. وقفتُ على قبر جدي وكان المشهد دراميا بكل معنى الكلمة".

فناء بيت العائلة .. بريشته

استأجر منزلا في بلدة عناتا شمال القدس، وتابع أمر الرقم الوطني لضمان بطاقات شخصية لعودة أفراد أسرته وقد وصلوا قادمين من الشام العام 1994. اتصل بالمحرر المسؤول لصحيفة القدس محمود أبو الزلف، وحجز له موقعا مرموقا في أعلى الصفحة الأخيرة للمباشرة برسم كاريكاتوري ملون ويومي: **"عملتُ في الصحيفة خمسة أعوام ثم قررتُ مغادرتها لأسباب مهنية، ولم أستطع التواصل مع أسلوب العمل بحجب الرسوم مرات أو التلاعب فيها أحيانا بحيث ينقلب المعنى، وللأسف فقدتُ في الصحيفة النسخة الأصلية لرسوم جيدة لمعت على مدار خمس سنوات في أعلى الصفحة الأخيرة، ولم أتمكن من استرجاع جهدي المبذول في الرسومات لخلل بيروقراطي"**. استقر في رام الله وغادر بيته في عناتا بعد عامين على الإقامة فيها اثر تزايد الحواجز العسكرية الإسرائيلية وقطع التواصل بين مدينة رام الله وضواحيها وبلداتها المجاورة.

أبرم عقدا العام 1999 مع صحيفة "الأيام" التي تأسست في رام الله وباشرتْ التوزيع اليومي مطلع العام 1996: **"أرسمُ يوميا منذ عشر سنوات، وعلى مدار سبعة أيام في الأسبوع تصدر فيها الجريدة. وأحرص أثناء سفري على إرسال رسوماتي، وقضيت فترة لدى ابنتي في ألمانيا كنتُ فيها حريصا على تزويد الجريدة برسم يومي، وعندما يغيب**

الكاريكاتير عن أعلى الصفحة الأخيرة يكون أمر حجبه واستبداله بصورة فوتوغرافية قد صدر من هيئة التحرير. للأسف لا يحتفظ أيضا طاقم الجريدة الفني أو الإداري بالنسخة الأصلية، لكني تعلمتُ درسا من التجربة السابقة وجهزتُ أرشيفي الخاص".

10

الرئيس عرفات بريشته- تونس 1991

نظم معارض شخصية في رام الله وجامعتي بيرزيت والنجاح الوطنية في نابلس وفي الخليل، وشارك العام 2003 بمعرض للجامعة الأميركية في القاهرة، والتقى المفكر ادوارد سعيد والكاتب حسنين هيكل: **"دعيتُ لمعرضي في الجامعة الأميركية شيخ الرسامين المصريين أحمد طوغان أحد القامات الكبيرة في عالم الكاريكاتير، ولبى الدعوة رغم أنه يناهز الخامسة والتسعين من عمره، والرجل يرسم منذ أيام الملك فؤاد في الأربعينات ولا زال حتى الآن حريصا على متابعة الرسم، لكن للأسف لم يأخذ حقه المعنوي بتكريم يليق به".**

شارك في معرض للرسوم الكاريكاتورية بأقصى شمال اليابان، وكان أول رسام عربي يشارك في هذا النشاط المنتظم، ونقلت الهيئة المشرفة معرضه الشخصي إلى جامعتي طوكيو وهوريساكي، وشارك أيضا في معرض الدوحة بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة الذي يصادف سنويا في الثالث من أيار.

لبى دعوة للمشاركة في مؤتمر رسامي الكاريكاتير العالمي في القدس الغربية العام 2005: **"اشترطتُ معاملتي بمستوى درجة جميع المشاركين ورفع العلم الفلسطيني بجوار أعلام مندوبي البلدان المشاركة. عرضتُ رسوماتي على الجمهور واستحضرتُ كل الأرشيف الفلسطيني لكشف الجريمة الإسرائيلية، وعرضتُ نحو ستين كاريكاتيرا عن جدار الفصل العنصري، وتناولتُ الصحافة الإسرائيلية والأجنبية الموضوعات التي طرقتها، بما فيها قضية اللاجئين وتاريخ بيتي في القدس القديمة الذي يبعد عن سكني عشرة كيلو مترات، ولا أستطيع زيارته إلا بتصريح. أعتقد أن الكاريكاتير يقود**

معركة في مواجهة الاحتلال ويترفع عن التطبيع كما تعتقد ويظن البعض. التقيتُ رسام الكاريكاتير المصري الشهير مصطفى حسين وحاورته في القاهرة وتفهمتُ رؤيته تماما برفض الالتقاء برسامي الكاريكاتير الإسرائيليين مهما كانت الظروف، وهو على حق لأنه غير مضطر لذلك، بينما أخوضُ في رسومي معركة على جبهة مختلفة. عرضتُ في متحف الكاريكاتير الإسرائيلي في حولون وواجهتهم بخطوطي التي تحمل هوية واضحة في التراث والثقافة العربية، بينما لا تحمل خطوط أربعمائة رسام كاريكاتير إسرائيلي إلا ثقافة البلدان التي هاجروا منها رغم أن كثيرا منها يتميز بالسخرية والذكاء".

شارك العام 2006 في تأسيس المجموعة الدولية " الكاريكاتير من أجل السلام" تحت رعاية صحيفة "اللوموند" الفرنسية ومنظمة اليونيسيف الدولية وبرعاية الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان. أبرز من شارك معه في تأسيس المجموعة الدولية: رسام الكاريكاتير الفرنسي بلانتو والرسامة الأميركية آنا تالانس والإسرائيلي ميشيل كشكا والياباني نو ريو في حين رفض الانضمام للمجموعة رسام الكاريكاتير المصري مصطفى حسين ورسام آخر من إيران: **"دعا الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان سبعة رسامين إلى نيويورك، وأعلن تشكيل الإطار الدولي الفني "الكاريكاتير من أجل السلام" وأفتتح زاوية ثابتة لرسومهم الكاريكاتورية بمقره العام في نيويورك تشجيعا للسلام في منطقة الشرق الأوسط، وتلتقي المجموعة التي يقترب عددها من عشرة فنانين منهم الفرنسي ريد رسام صحيفة بروفانس الرئيسية في مدينة مارسيليا ورسام صحيفة الغارديان البريطانية، مرتين كل عام في العاصمة البلجيكية بروكسل لتنظيم معارض مشتركة وندوات ثقافية، وتتلقى أيضا دعوات من فرنسا لإقامة معارض فنية وعقد مناظرات فكرية وثقافية بمشاركة رسامي الكاريكاتير في حوض المتوسط".**

القدس بريشته 1991

تم اختياره العام 2008 كأول عربي لعضوية لجنة التحكيم الدولية الخاصة بمسابقة الكاريكاتير في تركيا ضمن طاقم

الحكام الدوليين، واعتبره أفضل جائزة لرسوماته، وتسلم من رابطة الحقوقيين الأميركيين جائزة الشجاعة الدولية وأعتبر رسام الكاريكاتير الثاني الذي يحملها، وكرمته أيضا رابطة رسامي الكاريكاتير في ولاية تكساس الأميركية.

11

تزوج في الكويت العام 1972 من سحر العلاف وأنجبا سبع بنات أكبرهن لينا مواليد العام 1973 ونالت ماجستير بحقل فنون التصوير السينمائي، وأصغرهن ليلى مواليد العام 1988 طالبة كلية الآداب في جامعة بيرزيت، ونالت ابنته بيبا، اسم اسباني شعبي، بكالوريوس الفنون الجميلة من جامعة النجاح الوطنية في نابلس وتقيم مع زوجها في رام الله. أنجب بناته السبع في الكويت باستثناء دينا التي ولدت في دمشق العام 1974 وتقيم حاليا مع زوجها في مدينة هامبورغ الألمانية. يعتبر والد زوجته فوزي العلاف من رواد الصحافة السورية ورأس تحرير مجلة "البلاغ" فيما شغل عمها موفق العلاف سفيرا للجمهورية السورية في الأمم المتحدة على مدار ثلاثين عاما.

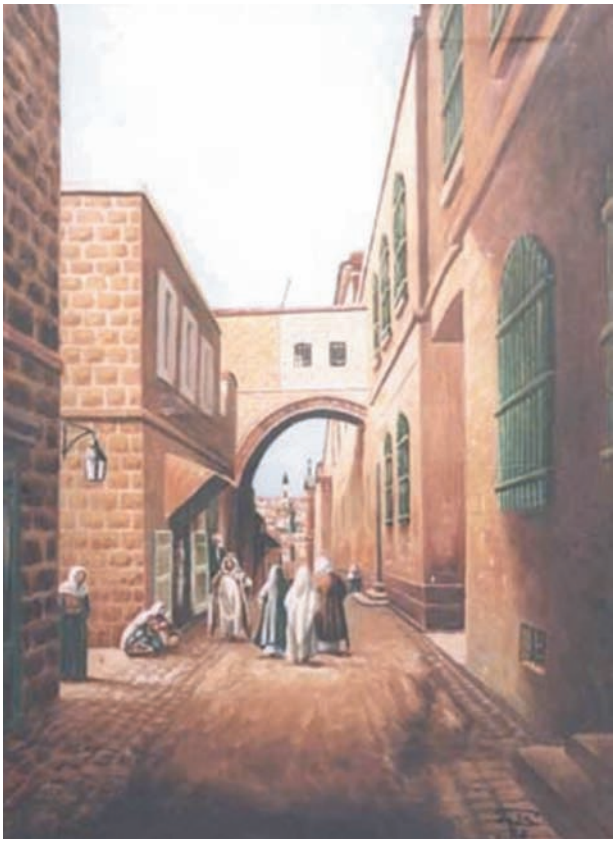

قوس الزاوية البخارية بريشته 1991

يشغل بهاء موضوع الكاريكاتير كل يوم والزاوية التي يتناولها به، ويبذل جهدا لصياغة فكرة جديدة وغير مكررة أو مستهلكة، ومن أجل ذلك يتابع الأخبار والأحداث منذ الصباح، ويتواصل مع الناس في الشوارع العامة ويتلمس معاناتهم عبر الحصار الإسرائيلي وحواجز الاحتلال العسكرية واعتداءات جنوده المتواصلة وحملة اعتقالات أجهزته ومخابراته، وتوسع رقعة الاستيطان ومصادرة الأراضي وقطع الأشجار. يتحسس مخاطر الانقسام السياسي ونتائجه على مسار القضية الوطنية، وكذلك قسوة

الظروف المعيشية للمواطنين وتآكل رواتب الموظفين، ويدقق في غول الغلاء وأزمة المرور والمياه وإضراب النقابات وأسعار العقارات. .وغيرها، ثم يترك لقلمه في المساء حرية الحركة على الورق وتركيب الخطوط العشوائية كمصيدة لاستدراج أبو العبد، وتوظيف أوجاعه في الشأن الفلسطيني، ثم تلمع الفكرة المبدعة المتجددة والمتوقدة في ذهنه، فيتحول لحظتها بطله أبو العبد، برفقة زوجته وأحيانا أبنائه، إلى "سوبرمان" يطل من الورق بخطوط قوية متماسكة: يعلق ويطلب ويعترض ويفكر ويأمر ويستجيب ويماطل ويناور ويقلق. .لكن دون أن يظهر في كل أدواره اليومية المختلفة والمتعددة كضحية محطمة تبكي ضعفها في مواجهة الحصار، بل يصعد سلم الورق كبطل متماسك يدافع عن موقفه في مواجهة كل خصومه وأعدائه من أجل الانتصار عليهم في نهاية المطاف معلنا موقفه بكل جرأة وشجاعة دون تردد أو خوف.

أعضاء لجنة التحكيم الدولية لمسابقة الكاريكاتير

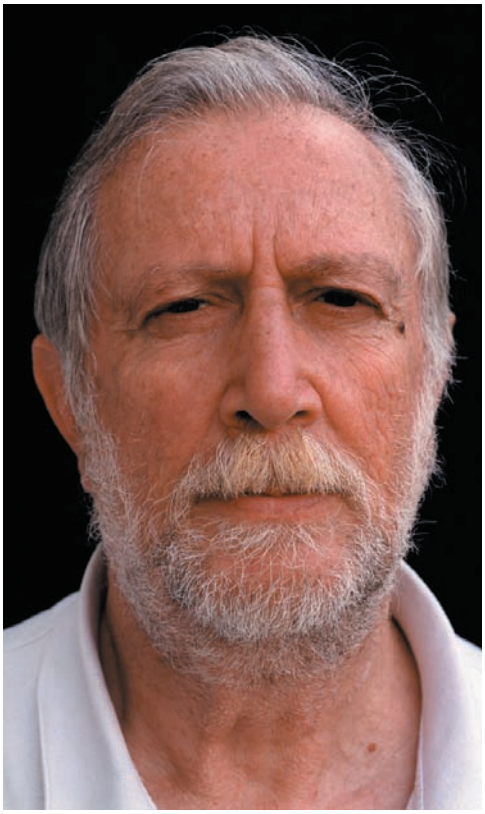

سليمان منصور: الفن مغامرة

جائزة فلسطين للفن التشكيلي 1998

مع كوفي أنان في الأمم المتحدة 2002

1

حجزت السيدة الأميركية كيرن فراغا بين مجموعة لوحات فنية تنتظم في مدخل بيتها الهادئ في بلدة فانكوفر جنوب ولاية واشنطن على الساحل الغربي للولايات المتحدة. علقت فوق الجدار الداخلي للممر الواسع مجموعة لوحات رائعة للفنان كامل المغني، وتركت وسطها مساحة فارغة للوحة شاهدتها أواسط السبعينات أثناء زيارتها البلدة القديمة في القدس برفقة زوجها الفلسطيني الذي يمتلك موهبة الرسم متداخلة مع قدرته الفائقة على التدقيق بمستوى الخطوط ولمعية الألوان.

«جمل المحامل» اللوحة الأولى

لم تتمكن كيرن أواسط السبعينات من شراء اللوحة التي أثارت إعجابها، وظلت حريصة على ضمها لمجموعة لوحاتها الجميلة. في زيارة لبيتها صيف العام 2005 كشفت سر المستطيل الفارغ فوق الجدار، وأفاضت بوصف تفاصيل اللوحة الفنية التي خطفت بصرها وتنتظرها بفارغ صبر منذ سنوات بعيدة لتحجز المكان. أظهر دقة وصفها للمشهد الذي علق في ذهنها بمدخل باب العمود أنها تقصد لوحة "جمل المحامل". تلقت وعدا بالبحث عن نسخة منها لتضيفها بريقا على الجدار بين مجموعة متميزة للوحات نابضة بالرموز الفلسطينية. عثرت شقيقة زوجها على نسخة من "جمل المحامل" وأرسلتها إلى أقصى الساحل الغربي للولايات المتحدة.

انتظرت كيرن أكثر من ثلاثين عاما رحلة العتال الفلسطيني العجوز حاملا إلى بيتها البعيد جزءا من هوية المدينة العريقة. أطلت قبة الصخرة من فوق أكتاف صلبة لعجوز حافي القدمين متماسكا على الأرض. بدت ساعداه تنفجر بقوة وتقبض أصابع يديه على حبل متين يحفر في جبينه، ثم يلتف على ظهره إسنادا للمسجد الأقصى المبارك فوق كتفيه. .وصلها العتال أخيرا ولكن نسخة على الورق، ولكنه لم يزل في باب العمود يحتفظ بشيخوخة متماسكة منذ أن تربع فوق اللوحة أواخر العام 1973 يحمل الصخرة على ظهره، لا يتعب من حمله ولا يعرف الشكوى، رغم قسوة وضعه وبشاعة حصاره.

وصلت النسخة إلى البلاد البعيدة كما توزعت آلاف النسخ في الوطن والشتات ولكن أين استقرت اللوحة الأصلية؟ ما مدى صدقية الشائعة التي تتردد بأنها أصبحت من مقتنيات حاكم عربي؟ هل يكشف الفنان سليمان منصور مصير لوحته الشهيرة؟ ما حكاية اللوحة وكيف لمعت الفكرة؟ بل كيف تشكلت الطريق في مسار يوميات التشكيلي منصور الذي أضاء حقل الفنون في إبداعاته وأساليبه المبتكرة بتوظيف الطين في نبض لوحاته المجسمة؟

2

خلال نشاطاته الفنية في المدرسة اللوثرية (بيت جالا)

ولد في بلدة بيرزيت شمال رام الله في السابع والعشرين من تموز العام 1947 في عائلة ممتدة تهتم بالفنون والثقافة: **"جدي جريس منصور تعلم في مدرسة شنلر الصناعية الألمانية في القدس وأجاد اللغة الألمانية والعزف على البيانو. شيد العام 1922 بيتا واسعا في سفح جبل يقع بمنطقة تسمى السقي في أراضي بيرزيت، واهتم بإصلاح كرم زيتون بمساحة لا تقل عن ستين دونما حول البيت. شارك باحثا ألمانيا من جامعة توبنغن في تأليف كتاب يتناول القصص الشعبية الفلسطينية، وأعاد الصيدلي موسى علوش الباحث في التراث الفلسطيني طباعة الكتاب"**.

فتحت اهتمامات جده الثقافية والفنية الطريق أمام والده وأعمامه لمتابعة مسيرة حياتهم المهنية اللامعة: **"تعلم عمي أديب**

أديب منصور في يسار الصورة مع خطيبته الالمانية – سنة 1932

هندسة صوت في ألمانيا ، وعندما تخرج مطلع الثلاثينات عاد إلى البلاد ثم التحق بمجال تخصصه كمهندس صوت في الإذاعة الفلسطينية. استشهد عندما قامت العصابات الصهيونية بنسف الإذاعة العام 1937 ، وكتب فيه صديقه الشاعر إبراهيم طوقان قصيدة رثاء أذكر الآن مطلعها :

عرفتُ أديبا فأحببته وسرعان ما غاب هذا الحبيب

" تعلم عمي بديع الموسيقى أيضا في ألمانيا أثناء الحرب العالمية الثانية ، وكان عازفا في الفرقة الموسيقية العسكرية الألمانية. عمي بديع من مواليد بيرزيت العام 1900 تزوج من سيدة ألمانية وعاش هناك حتى وفاته العام 1990 . تعلم عمي الثالث نجيب الهندسة المعمارية في الولايات المتحدة ، وعاد إلى فلسطين وكان من أهم المهندسين في حقبة الثلاثينات ، واشرف على بناء مراكز الشرطة الانجليزية في المدن الفلسطينية المختلفة . هاجر بعد النكبة إلى سوريا وأشرف فيها على تصميم مباني معرض دمشق الدولي الأول في الخمسينات ، ثم غادر مع نجله إلى الولايات المتحدة واستقر فيها" .

تعلم والده أنيس الموسيقى أيضا في ألمانيا قبيل الحرب العالمية الثانية ، لكنه لم يكمل دراسته وعاد إلى بلدة بيرزيت العام 1938 :**"اشتبك الشبان مع بعضهم بصدام عنيف في أحد الشوارع ، تعرض للضرب القاسي كونه أجنبيا . عاد إلى بيرزيت واشتغل مع جدي في الأرض ، ثم التحق فترة قصيرة في سلك الشرطة الانجليزية في القدس ، وتوفي العام 1951".**

2

لم يتجاوز سليمان الثالثة من عمره عندما رحل والده تاركا خلفه أرملة وستة أطفال. توسط أشقاءه وشقيقاته: شقيقتان أصغر منه وثلاثة أشقاء أكبر. تحملتْ والدته المسؤولية عن أفراد أسرتها وتبعات رحيل زوجها مبكرا، وكانت خياطة ماهرة وتمتلك ذوقا رفيعا في حياكة الملابس: **"سجلتني والدتي في مدرسة بيني الداخلية بمدينة بيت لحم، وتابعتُ تعليمي الابتدائي في مدرسة بيت جالا ثم الإعدادي والثانوي في المدرسة اللوثرية الواقعة في ساحة المدبسة في بيت لحم"**.

والدته وأطفالها الستة سنة 1952

بدأت موهبته في الرسم مبكرا ولاقى التشجيع من بعض معلميه وشق طريقه في عالم الخطوط الفنية: **"علمني في المدرسة اللوثرية الأستاذ الألماني فيلكس تايكس الذي كان يحب الرسم، وأقام مركزا ثقافيا في المدرسة من أندية للموسيقى والمسرح والفنون التشكيلية، وسجل الطلبة في الأندية حسب رغباتهم ومواهبهم. سجلتُ في نادي الفن وأخذ بتعليمي فنون رسم المشهد الطبيعي. عاش الأستاذ فيلكس مع أفراد أسرته في منزل داخلي بالمدرسة، وكان حريصا على دعوتي لبيته حتى أصبحتُ كواحد من أفراد عائلته. في إحدى السنوات وصل شقيقه الرسام لزيارته من ألمانيا، وأقام عنده في البيت لفترة من الوقت، وخلالها قدم لي خدمة كبيرة في فنون التعامل مع تقنيات الرسم"**.

اكتشف الأستاذ فيلكس موهبة طالبه وقدرته على المنافسة والتفوق بحصد جائزة المدرسة في كل عام، شجعه العام 1961 على المشاركة في مسابقة رسم للأطفال تجري سنويا بإشراف الأمم المتحدة: **"رسمتُ أجواء بيت لحم، وقصة**

وصول المجوس إلى بيت لحم تقودهم النجمة في السماء .أخذتُ الجائزة الأولى وقيمتها نحو مائتي دولار وتسلمتُ كتابا من الأمم المتحدة يحمل صورتي على الغلاف ويتضمن قائمة بجميع الأطفال المشاركين من إفريقيا وآسيا ، ولا زلتُ أحتفظ حتى اليوم بالكتاب" .

فنان المدرسة والبلدة

أنهى دراسته الثانوية بنجاح وتخرج العام 1966 من "اللوثرية" في بيت لحم، وغادر المدرسة يحمل في جعبته الوصف الذي أطلقه عليه المعلمون وزملاء الدراسة "فنان المدرسة" فيما يشيع أهل بلدته بأنه "فنان القرية" لقدرته الفائقة على رسوم وجوه "بورتريه" للراغبين من أهالي بيرزيت، في حين يختار الوجوه التي يرغب برسمها ويقوم بتشكيلها على الورق. كان معجبا بشخصية الرئيس المصري جمال عبد الناصر ورسم مجموعة من اللوحات لملامحه ووضعها في حقيبته الشخصية: **"أصدرت السلطات الأردنية العام 1966 أمرا بحظر الاحتفاظ بصور الرئيس عبد الناصر ،وفي طريق عودتي من بيرزيت إلى بيت لحم، فتش جنود من الجيش الأردني حقيبتي واكتشفوا رسومات لملامح الرئيس المصري، نقلوني لمركز شرطة القشلة في باب الخليل. وصل الضابط سعادة الجلاد وعندما تفحص أوراقي سألني: شو علاقتك بأنيس منصور. قلت له: أبوي. قال الله يرحمه كان صديقي. سلمني رسوماتي وأطلق سراحي" .**

أنهى دراسته الثانوية وطَرقَ الأبواب بحثا عن عمل مؤقت حتى يتمكن من الحصول على منحة جامعية لمتابعة تحصيله في الفنون التشكيلية: **"عملتُ لمدة شهرين في فندق الامبسادور بحي الشيخ جراح في القدس، ولم أتمكن من المتابعة، أدركتُ أني صعب المراس ولا أتحمل أن أكون تحت المسؤولية. اشتغلتُ في المدرسة الصناعية في قلنديا حتى حرب**

« الزوادة »

حزيران العام 1967 ، وخلال هذه الفترة تعرفتُ على المسؤول الثقافي في المكتبة الأميركية، أبدى إعجابه بعملي الفني واستعداده لمساعدتي لمتابعة دراسة الفنون في جامعة شيكاغو، وعرض فكرة تنظيم معرض فني لبيع مجموعة من لوحاتي للمساعدة في توفير جزء من مصاريف السفر، لكن عدوان حزيران أطاح بأحلامي. قبيل الحرب التحقت والدتي بعملها في المدرسة اللوثرية في بيت حنينا ، ثم استأجرنا بيتًا في ضاحية الرام، وكانت حريصة على إقناعي بعدم السفر لغياب شقيقاي أديب وجورج في الخارج بقصد الدراسة. تعلم أديب علوم الإدارة وعمل في السعودية ثم استقر في الولايات المتحدة .أنهى جورج دراسته العليا في الهندسة الكهربائية من الجامعات الألمانية، وحصل على شهادة الدكتوراه ثم غادر إلى الولايات المتحدة، استقر فيها وتسلم مناصب رفيعة في مجال تخصصه" .

4

لم يستسلم ويحث عن فرصة أخرى لاستكمال تعليمه :"تسلمتُ بطاقتي الشخصية المقدسية عقب الإحصاء الإسرائيلي العام 1967 وقد شملني ووالدتي أثناء وجودنا في ضاحية الرام المقدسية. فتح الاحتلال أسواق القدس الغربية أمام أبناء القدس الشرقية، وأخذتُ بالتجول الدائم في شوارعها . شاهدتُ في مركز المدينة بافطة تحمل "كلية بتسالیل للفنون" ، سألتُ عن شروط القبول، وتقدمتُ لامتحان مستوى مع ستين مرشحا لاختيار عشرة منهم فقط. نجحتُ في

الاختبار وسجلتُ رسميا في الكلية العام 1967 . كنتُ الطالب الوحيد من الأراضي المحتلة وكان معي في كلية بتساليل زميلي خليل ريان من داخل الخط الأخضر" .

واجه أثناء دراسته في الكلية مجموعة من المشاكل حالت دون إتمام مشاريع التخرج في السنة الرابعة والأخيرة: **"قدم الاتحاد اللوثري منحة دراسية لتسديد الأقساط المترتبة على قبولي في السنة الأولى، وتتطلب تجديد المنحة الدراسية للسنة الثانية إجراءات جديدة في نهاية كل عام، لم أعمل هذه الإجراءات ظنا أن المنحة سارية المفعول، وفوجئتُ في نهاية السنة الثالثة أن إدارة الكلية تطالب بمستحقات الأقساط، لم أتمكن من دفعها وغادرتُ الكلية دون شهادة. كنتُ في حوار ونقاش دائم في الشأن الفلسفي والسياسي مع دان كفري زميل دراستي في السنة الثالثة، النحات الحالي المشهور، أرسل جهاز المخابرات الإسرائيلي مذكرة تبليغ لمراجعة مبنى الجهاز في القدس، وأعاد المحققون نقاش نفس الموضوعات التي كنتُ أطرحها مع كفري. تعرضت مكتبة الكلية في تلك الفترة لحريق، وصل جهاز المخابرات واقتحموا قاعة محاضراتي ونقلوني برفقتهم على مشهد من المحاضرين والطلبة. شعرتُ بحاجز كبير يحول دون متابعة دراستي في الكلية، وقررتُ المغادرة قبل إنهاء السنة الرابعة التي تتطلب ساعاتها المعتمدة خمسة أعمال فنية فقط. غادرتُ الكلية وأنا أجيد اللغة العبرية محادثة وكتابة" .**

أثناء دراسته في الكلية

تحالف حريق المكتبة ومداهمة جهاز المخابرات الإسرائيلي لقاعة محاضراته واحتجازه تحت بصر زملائه، وكذلك متابعته نقاش القضايا الفلسفية والسياسية مع الطلبة ثم استدعائه لمبنى المخابرات للتفتيش في ذهنه عن توجهاته، إضافة إلى عدم قدرته على تسديد الأقساط الدراسية المتراكمة، تجمعت كل هذه العناصر وأجبرته على مغادرة مقعده الأكاديمي في الكلية العام 1970 لكنه لم يتوقف عن ممارسة فن الرسم في غياب تسلمه لشهادة جامعية، وتابع رسوم لوحاته الفنية ساعيا لعرضها على جمهور الفن: **"عرضتُ منظمة ماتسين التروتسكية اليسارية الإسرائيلية العام 1971 فكرة تنظيم معرض في تل أبيب لاطلاع الجمهور الإسرائيلي على الفن الفلسطيني. تجمعنا سبعة فنانين من الأراضي المحتلة وعرضنا**

لوحاتنا في المعرض، وفوجئت بحضور وزير دفاع إسرائيل موشيه ديان والشيخ محمد الجعبري رئيس بلدية الخليل، وأدركتُ خطورة توظيف الفن في الشأن السياسي، وشعرتُ بأهمية وجود تجمع نقابي وطني للفنانين الفلسطينيين يمتلك قدرة على رصد الطريق والتوجهات الوطنية".

5

بدأت العام 1972 فكرة تشكيل جسم نقابي لفناني الأرض المحتلة: **"التقيتُ نبيل عناني، عصام بدر، إبراهيم سابا ورحاب النمري ومجموعة أخرى قليلة، اقتسمنا فيما بيننا بشأن التقدم بطلب للطرف الإسرائيلي بشأن الحصول على ترخيص لإنشاء رابطة الفنانين أو الإعلان عنها دون موافقة الاحتلال، تقدم البعض بطلب لإنشاء الرابطة وتسلمتُ رفضا".**

رسم العام 1973 "جمل المحامل" التي تعد واحدة من أشهر لوحاته الفنية وقد أطلقته للجمهور الفلسطيني والعربي وشدت الانتباه لقوة خطوطه وإبداعه: **"رسمتُ العام 1969 عتالا داخل البلدة القديمة يحمل أغراضا عدة على ظهره، مع أن اللوحة كانت جميلة لكن لم ترق لي طبيعة الأغراض التقليدية التي يحملها، فكرتُ بضرورة استبدالها، ولم أعرف البدائل. أثناء حرب أكتوبر لمعت الفكرة في ذهني، وأنجزت أواخر العام 1973 عتالا يحمل على كتفيه قبة الصخرة، لوحة طولها مترا بعرض سبعين سنتمتر تقريبا، عرضها صاحب مكتبة صلاح الدين للنشر الياس نصرالله على مدخل المكتبة في شارع صلاح الدين في القدس. صارت تستقطب اهتمام الناس، وعرض الروائي اميل حبيبي اسما للوحة: "جمل المحامل" وأثنى الجميع على التسمية، وعرضتها لأول مرة في معرض أقيم**

بالتعاون مع نقابة المهندسين في مقر جمعية الشبان المسيحية. طبعت مكتبة صلاح الدين اللوحة على شكل ملصقات كبيرة، وتم توزيعها على المدن الفلسطينية، وبات توزيع واقتناء جمل المحامل تهمة، وقد تعرض على سبيل المثال قدورة موسى صاحب مكتبة في جنين للضرب والاحتجاز من قبل جنود الاحتلال، وصدر بحقه حكما بالغرامة المالية بحجة توزيعه للوحة جمل المحامل" .

عرض سفير الجماهيرية العربية الليبية في لندن شراء لوحة "جمل المحامل" أثناء عرضها في معرض لندن :**"طَلَبَ السفير مني تدوين كلمة إهداء للرئيس معمر القذافي على اللوحة، رفضتُ ذلك وأخبرته أن أي خدش يتلف جمالية اللوحة، فاقترح كلمة الإهداء على ظهر اللوحة، فكتبت جملة قصيرة. علمتُ لاحقا أن الرئيس القذافي علقها في بيته وظلت على الجدار حتى قيام الطائرات الحربية الأميركية بقصف مقر اقامته سنة 1986، وأخبرني لاحقا سفير الجماهيرية الليبية في عمان أن العدوان الأميركي دمر اللوحة"** . اضطر سليمان لإعادة رسم اللوحة من جديد ، وادخل عليها بعض التغييرات الطفيفة التي لا يصعب ملاحظتها دون تدقيق بالتفاصيل الصغيرة ومقارنتها باللوحة الأولى :**"غيرتُ الحبل المجدول الذي يلتف حول جبين العجوز العتال إلى حبل عريض ورقيق دون جدلة يستخدمه العتال لضمان تماسك حمله الثقيل فوق ظهره، ثم أضفتُ رمزا مسيحيا بجوار قبة الصخرة المشرفة للدلالة على الوجود التاريخي وتعددية هوية المدينة العربية والتآخي الإسلامي المسيحي في القدس العربية"** .

بعد رفض الاحتلال إصدار ترخيص للرابطة ، أقدم العام 1974 بمشاركة زملائه على إعلان رابطة الفنانين ، وتم بالتوافق تشكيل لجنة إدارية من ثلاثة أعضاء لمتابعة شؤونها :**" تسلمتُ رئاسة اللجنة وعضوية كامل المغني ونبيل عناني. أقمنا العام 1975 أول معرض فني بمشاركة اثني عشر فنانا في القدس ثم تنقل في عدد من مدن الضفة، وخلق المعرض جسرا للعلاقات الوطنية مع قيادة التوجيه الوطني وبخاصة مع بسام الشكعة، كريم خلف، إبراهيم الطويل ومحمد حسن ملحم رؤساء بلديات نابلس، رام الله، البيرة وحلحول. حظي أيضا باهتمام المؤسسات الوطنية على تنوعها ، وبات للفن التشكيلي جمهور يناصره ويدافع عنه"** .

6

تأثر سليمان بالاتجاه الشيوعي وأصبحت ميوله واضحة نحو الحركة الشيوعية وأفكارها ومواقفها السياسية ، وتلقى عرضا من الدكتور وليد مصطفى مدير المركز الثقافي السوفياتي في عمان لإقامة معرض جماعي للتشكيليين في العاصمة الأردنية :**"حملنا لوحاتنا من الضفة، وانطلقنا إلى عمان، أقمنا المعرض وفوجئنا**

« جمل المحامل » مع تغييرات طفيفة

بالإقبال الشعبي، وغطت الصحافة الأردنية النشاطات وانطباعات الجمهور. أصبح للفنانين المشاركين شهرة واسعة، وتسلمنا دعوة لنقل المعرض إلى لندن".

عرضت ليلى منطورة، ابنة الدكتور توفيق كنعان الباحث المتميز بالتراث الشعبي الفلسطيني، إقامة معرض في لندن: **"غادرتُ برفقة زميلي نبيل عناني مطار عمان على متن الخطوط الجوية البريطانية باتجاه العاصمة لندن، وزعنا المهمات: حملتُ اللوحات وتسلم نبيل العناوين ومصاريف الرحلة. في المطار فقدنا الحقائب، وفي محطة القطار صعد نبيل وبقيتُ على الرصيف وافترقنا، وانتظرته حتى وقت متأخر بلا جدوى كل منا ينتظر الآخر في محطتين متجاورتين. في ساعة متأخرة من الليل طلب مني حارس المحطة مغادرة المكان، استأجرتُ سيارة للبحث عن فندق ولم أعثر على سرير فارغ، كانت معظم الفنادق محجوزة للعرب الأثرياء في صيف لندن. لم يكن بحوزتي سوى ثمانية جنيهات، وعندما بلغ عداد سيارة الأجرة نحو ثمانية جنيهات طلبت من السائق البحث عن بدائل للفنادق، أنزلني على مدخل بيوت سكنية سياحية. طرقتُ الباب، أجاب موظف الخدمات بأن جميع الغرف محجوزة، أخبرته بحاجتي للراحة حتى الصباح ولا داعي للنوم في غرفة. تعاطف معي ووفر لي فرشة حتى الصباح، وساعدني في البحث بدليل الهاتف عن ليلى. هاتفها وأخذ عنوانها، دفع لي جنيهين ودلني على الطريق عبر استخدام القطار الأرضي. لقيتُ نبيل بانتظاري وروى لي**

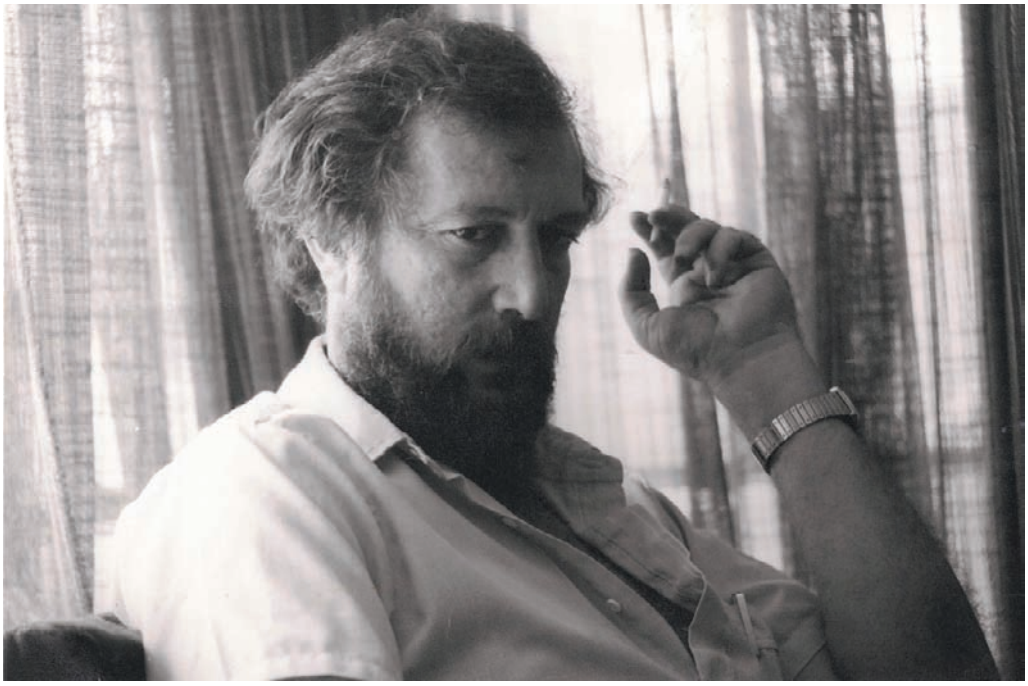

ضاحكا قصص ضياعه في لندن".

تردد جمهور فلسطيني وعربي ومجموعات أجنبية من أنصار فلسطين على المعرض، وأجرت الإذاعات المحلية حوارات مع الفنانين سليمان ونبيل: **"شاهد المعرض حاتم الحسيني الذي كان مسؤولا عن القسم الفلسطيني في مكتب الجامعة العربية في واشنطن. عرض فكرة نقل اللوحات إلى الولايات المتحدة، وتم الاتفاق على ترتيب الأمر العام 1977. تعرفتُ على سعيد حمامي مدير مكتب منظمة التحرير في لندن، غادرتُ برفقته إلى بيروت وقابلتُ خليل الوزير "أبو جهاد" وأقمتُ علاقة تنظيمية مع حركة "فتح". أصبحت الرابطة فرع الأرض المحتلة للاتحاد العام للفنانين التشكيليين برئاسة إسماعيل شموط، وبات الاتحاد يوفر احتياجاتنا المالية اللازمة لدعم نشاطاتنا".**

7

التحق العام 1976 مع زميله عناني معلما في معهد معلمات الطيرة التابع لوكالة الغوث في رام الله، وعمل في وظيفته طوال ثلاث سنوات. علم مساق الفن لطالبات المعهد بهدف إكسابهن خبرة للتعامل مع حصة الفن في المدارس الابتدائية، ونظم معارض محدودة من الإنتاج الفني للطالبات.

استشهدت برصاص أجهزة الأمن الإسرائيلية في مدينة نابلس بداية التحاقه في معهد الطيرة طالبة المدرسة الثانوية لينا النابلسي التي تعرضت للقتل المتعمد في مركز المدينة. أثار الإعدام الميداني الشارع الفلسطيني الذي تظاهر احتجاجا على القتل الأعمى. خطت ريشة سليمان لوحة للطالبة لينا وهي ترتدي ثوبها المدرسي الأخضر يقطر من عنقها الدم: **"للأسف استشهد قبل لينا وبعدها أعداد لا تحصى من طلبة فلسطين، لكن لوحة الشهيدة لينا كانت تعبيرا عن غضب الشارع الوطني على القتل المتواصل للأبرياء ودون ذرائع. شهد العام 1980 آخر عرض للوحة في مقر جمعية الهلال الأحمر في غزة بدعوة من رئيس الجمعية الدكتور حيدر عبد الشافي. عرض مجموعة من فناني فلسطين لوحاتهم في مقر الجمعية، وعقب صلاة يوم جمعة انطلق مئات المصلين، أنصار الإخوان المسلمين، من جامع في غزة واجتازوا مركزا للشرطة الإسرائيلية واتجهوا نحو مكتبة الهلال الأحمر وأشعلوا فيها النار باعتبارها مكتبة كافرة تضم كتبا شيوعية. خسرتُ في الحريق اللوحة الأصلية للشهيدة لينا وتسع لوحات أصلية أخرى، وخسر سبعة من زملائي معظم لوحاتهم الفنية الأصلية. أثارت الخطوة استنكار الشارع الفلسطيني وتعاطف الجمهور مع خسارتنا، ودفع الدكتور عبد الشافي تعويضا بقيم أربعين ليرة إسرائيلية لكل لوحة، وللأسف ضاعت لوحات أصلية التي لا تقدر بثمن"**.

غادر العام 1977 برفقة عصام بدر إلى الولايات المتحدة لإقامة معرض متنقل طوال شهر في الولايات الأميركية: **"عرضنا بداية بمدخل مقر الأمم المتحدة في نيويورك، والتقينا لبيب زهدي الترزي مندوب منظمة التحرير ومساعده حسن عبد الرحمن، ثم حضرنا اجتماعا للجمعية العربية الأميركية برئاسة اللبناني جيمس زغبي، وتعرفنا على الكثير في جولتنا أثناء تنقل المعرض"**.

تزايد الاهتمام بالحركة التشكيلية الفلسطينية وبدأ المهتمون بالرسم يتجمعون في إطار رابطة الفنانين التشكيليين، وافتتحت اللجنة الإدارية للرابطة العام 1979 "جاليري 79" للفنون في رام الله التحتا تحت إشراف الفنان عصام بدر: **"كان مركزا دائما لعرض لوحاتنا وأشغالنا الفنية وأيضا مقرا لاجتماعات أعضاء الرابطة، وعرضتُ فيه بعض لوحاتي مثل: الحصاد والناي الحزين، فيما عرض فيه الزملاء مجموعة من لوحاتهم المتميزة. تعرض الجاليري لمداهمات قوات الاحتلال وصادرت بعض اللوحات الفنية المعروضة، ولم تتمكن من استرجاعها عبر القضاء وتوكيلنا للمحامي جوناثان كُتاب. أقدم الحاكم العسكري على إغلاق الجاليري العام 1981 وصادروا مفاتيحه، وبعد أسبوع على الإغلاق، أرسل الضابط المسؤول مذكرة تبليغ لمقابلته برفقة الزميلين عصام بدر ونبيل عناني في مقر المقاطعة. أخبرنا بأن قرارا عسكريا صدر بحظر استخدام أربعة ألوان في الرسم: الأبيض، الأحمر، الأسود والأخضر. سأل عصام عن إمكانية رسم بطيخة؟ أجاب الضابط بسؤال آخر وبلهجة حادة: يحتوي الرسم على أخضر وأحمر؟ إذاً ممنوع، وحتى أختصر عليكم رسم وردة بهذه الألوان ممنوع أيضا"**.

« لينا النابلسي »

8

تعرض العام 1981 للاعتقال ثلاث مرات ولفترات قصيرة، لم يتجاوز أطولها الثلاثين يوما ، وطوال مرات الاعتقال الثلاث لم يتعرض للضرب سوى مرة واحدة: **"أقام الاحتلال نقطة تفتيش عسكرية على الطريق بين بيرزيت ورام الله، أمر الضابط المسؤول بحجز سيارتي وتفتيشها . عثر جنود الاحتلال بداخلها على ملصقات للفنان السوري الكردي برهان كركوتلي تتناول العلاقة بين رئيس وزراء إسرائيل رابين والنازي الألماني هتلر وشعار الصليب المعقوف الذي تعتمده النازية رمزا لها . تعرضتُ لضرب مبرح واحتجزتُ عدة أيام في زنازين سجن رام الله"** .

أنهى وظيفته كمحاضر لمساق الفنون في معهد معلمات الطيرة، والتحق العام 1983 في مركز أبحاث جامعة بيرزيت للعمل تحت إشراف مدير المركز الدكتور بكر أبو كشك. تضمن وصفه الوظيفي، كما زميليه بدر وعناني، تطوير مشروع خاص بالصناعات الحرفية بتمويل من الصندوق العربي الكويتي، والعمل من أجل إعادة فتح سوق القطانين في القدس القديمة: **"تحطم المشروع خلال عامين، ولم يتمكن الاقتصادي أبو كشك من العمل جيدا على مشروع ثقافي يتطلب**

خبرات إبداعية بعيدا عن جدوى الربح والخسارة. غادرتُ برفقة عصام ونبيل إلى تونس في إطار المشروع للاطلاع على التجربة في مجال الصناعات الحرفية. تبين أن هذه الصناعات تمتلك فرصة على در للمال لكنها تحتاج قبل ذلك إلى ضخ مالي للنهوض ببنية الأشغال اليدوية وتوفير احتياجاتها الرئيسة للإنتاج. هذا الأمر لم يتمكن من توفيره مدير مركز أبحاث الجامعة، وضاع تمويل الكويت هدرا وفشل بإعادة فتح وترميم سوق القطانين المجاور للمسجد الأقصى، وتوفير مجموعة من الصناعات الحرفية والأشغال اليدوية للمترددين على أسواق البلدة القديمة".

برفقة الملاكم العالمي محمد علي كلاي ويبدو يمين الصورة المرحوم الدكتور حاتم الحسيني

التحق العام 1985 كرسام للكاريكاتير ومصمم الغلاف الأسبوعي لمجلة العودة المقدسية التي كانت تشرف عليها الصحفية ريموندا الطويل، وعمل أيضا كرسام للكاريكاتير فترة طويلة في أسبوعية الفجر الانجليزي بإشراف المحرر المسؤول حنا سنيورة، وأجاد في رسم مئات من الرسوم الكاريكاتورية، لكن أمر تطوير فنونه في التشكيل شغله عن الكاريكاتير. تسلم العام 1985 جائزة فنية محلية بعد تشكيل لجنة برئاسة فيصل الحسيني، وأجمعت اللجنة على منح جائزتها المعنوية الأولى للفنان سليمان منصور.

9

توقع الانتفاضة الشعبية في فلسطين، وخطتها ريشته بلوحة كبيرة روى فيها تحدي مجموعة من الناس بأيديهم وانتزاعهم لأسلاك الاحتلال الشائكة، وأطلق على لوحته اسم "الانتفاضة": **" تبلغ طول اللوحة نحو 120سم وبعرض أقل قليلا، أسميتها الانتفاضة ربما إحساسا بالهبة الشعبية المرتقبة لمواجهة المحتل. اللوحة موجودة الآن في معهد العالم العربي في باريس".**

مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى أواخر العام 1987 تزايدت الموجة الشعبية بمقاطعة البضاعة الإسرائيلية، بحث سليمان عن مواده الفلسطينية واستعاد خبرته عندما كان يساعد جدته في تشييد بيوت للنحل فأعاد اكتشاف الطين: **"كنتُ طفلا أساعد جدتي في بناء بيوت للنحل، وكانت تستخدم في البناء التراب المجبول بالماء لتشكل بيوتا من طين. طرقت الفكرة رأسي بعد سنوات طويلة: لماذا لا أرسمُ بمادة الأرض بدل رسم الأرض؟ بدأتُ أعملُ في تطويع مادة الطين. كنتُ أول من استخدم هذه التقنية في فلسطين تحت ضغط عامل الانتفاضة التي باتت تتطلب خلق هويتها الفنية بأدوات محلية، وتبدو مادة الطين في العمل الفني للوهلة الأولى بأنها هشة قابلة للكسر، لكنها في الواقع قوية لاحتوائها على مادتي الغراء الطبيعي المضاف لها الغراء الصناعي، وعندما تجف تماما تصبح قاسية كالحجر. صنعتُ من هذه المواد لوحة "أنا إسماعيل" تروي الشخصية الطينية المتشققة والمكررة عشر مرات وتكاد تقف على ساقيها حال العرب. يعكس إسماعيل أبو العرب حال أمته الراهنة: صامت، جامد، متشقق وعلى وشك الانهيار. حصل العمل على الجائزة الأولى في معرض بينالي القاهرة الدولي العام 1998، وحصلتُ في نفس العام على جائزة فلسطين للفنون التشكيلية".**

الجد جريس منصور وأفراد عائلته ويظهر على يمينه نجله أنيس والد سليمان

وفي خطوة لإسناد المقاطعة الشعبية للبضائع الإسرائيلية، أنتجت الانتفاضة الأولى أساليب فنها وأدواته في موازاة الطرق الجديدة التي ابتكرتها في حقول التعليم والصحافة والصحة والزراعة والعمل التعاوني وغيرها، وتبين أن زملاء سليمان ابتكروا أساليب فنونهم الخاصة: نبيل عناني اشتغل على الجلد، تيسير بركات حفر على الخشب وفيرا تماري بقطع الفخار الأثري، وشكل الرباعي إطارا فنيا تحت اسم "نيو فيجن" أي الرؤية الجديدة. لم تدم التجربة طويلا، ومات الطين في الأعمال الفنية للتشكيلي سليمان، لكنه يعود له نادرا عندما تلمع فكرة فنية في دماغه وتحتاج خلطة طين.

« الانتفاضة »

10

أسهم العام 1990 مع زملائه نبيل عناني، فيرا تماري وتيسير بركات بتأسيس مركز "الواسطي". عثر الفريق المؤسس على مبنى قديم نصف مدمر في حي الشيخ جراح، وبذل جهدا لإعادة الترميم وتوفير الكهرباء والتراخيص اللازمة: **"افتتح العام 1994 بعد توفير دعم مالي لضمان تأهيل المبنى، وشهد على مدار عشر سنوات مجموعة كبيرة من المعارض الفنية. أسسنا أيضا مركزا لتوثيق الفن بموازنة جيدة وباحث متخصص وطاقم تصوير. نجح المركز في توثيق يوميات وحياة ثلاثمائة فنان وفنانة، بما فيهم مجموعة عاشت في فلسطين قبل النكبة. النصوص متوفرة ولا تحتاج إلا للقليل من أجل إصدارها. انتهت تجربة الواسطي وفق الاتفاق مع صاحبة البيت باستخدامه عشر سنوات مقابل ترميمه، ولم**

تمكن إدارة المركز من استئجار المبنى للمبالغ الباهظة التي طالبت بها صاحبته. تحول الواسطي إلى مطعم، ونقلت كل ممتلكاته وفق قوانين الجمعيات العثمانية إلى "حوش الفن" وشاركتُ بعضوية اللجنة الإدارية للمركز الفني عند التأسيس".

أدار مركز "الواسطي" بتفرغ من وزارة الثقافة التي عينته على كادرها برتبة مدير منذ العام 1994، وظل على كادر الوزارة حتى تقاعده العام 2007. يعمل منذ العام 2000 محاضرا للفنون في جامعة القدس، وشارك على امتداد سنوات طويلة في عضوية مجالس أمناء وهيئات إدارية لعدد من المؤسسات الوطنية، وأسهم في تأسيس الأكاديمية الدولية للفنون (فلسطين) التي فتحت أبوابها منذ ثلاثة أعوام في البيرة.

الرسم بمادة الأرض

تزوج العام 1979 من المقدسية حنان كتوعة وأنجبا بنتين وولدين: سحر مواليد 1979 درست الطب وتخصصت في مستشفى المقاصد، وتعمل حاليا في جامعة النجاح بنابلس ولديها عيادة. فارس مواليد 1980 يعمل موظفا للتصميم الجرافيكي والملصقات في معهد ادوارد سعيد للموسيقى. عبير مواليد 1984 أنهت دراستها في الخدمة الاجتماعية من جامعة بيت لحم وتعمل مديرة حضانة في ضاحية بيت حنينا (القدس). باسل مواليد العام 1989

درع تكريم من سميحة خليل (جمعية انعاش الاسرة) 1986

طالب سنة ثالثة في قسم المحاسبة وإدارة الأعمال في كلية التجارة (جامعة بيت لحم).

لم يشجع أبنائه على دخول عالم الفن التشكيلي استنادا لتجربته الخاصة التي وضعته على فوهة المغامرة. مغامرة نجح في توظيفها لصعود سلم النجومية بريشة أبدعت في تشكيل أكثر من ثلاثمائة لوحة فنية على مدار رحلته الطويلة والمتواصلة، وفقد بعضها حرقا في غزة ومصادرة من قوات الاحتلال وأحيانا نتيجة إهمال الهيئات المشرفة على المعارض. أقام على مدار أربعين عاما سبعة معارض شخصية ومئات المعارض المشتركة على امتداد عواصم كثيرة في العالم.

مع زوجته وأبنائه

استغرقته "جمل المحامل" ثلاثة أسابيع من العمل الخلاق قبل عرضها على الجمهور في شارع صلاح الدين في القدس أواخر العام 1973، لكن الأميركية كيرن انتظرت ثلاثين عاما للفوز بنسخة مصورة للوحة باتت أيقونة في المشهد الوطني، وذلك حتى يكتمل عقد اللوحات الفلسطينية الفريدة والمقاومة على جدار بيتها في الساحل الغربي الأميركي، لتظل تنبض بالحياة من فوق كل جدران البيوت تحديا للعدوان العام 1986 بالعاصمة طرابلس في محاولة يائسة لاغتيال الرمز المقاوم حتى لو كان تشكيلا ملونا على الورق.

محمود شقير: أدب يكتوي بجمر السياسة

تكريم في الجامعة المعمدانية – هونغ كونغ 2005

على يمينه ليلى شهيد ، ابنته امينة وزوجته نعيمة في منزله (جبل المكبر – القدس)

1

رفض

الفتى الصغير الذي لم يتجاوز السابعة من عمره إغراء خاله علي زحايكة، عندما جهز الأخير بندقيته، وسلمها له، من أجل إطلاق النار على حمار، ليخطف بطلقة يتيمة باتت جاهزة للتسلية روح حيوان بريء يقدم خدمة صاغرة للبشر دون شكوى ودون تذمر.

كشفت الحادثة سر حساسية الصغير تجاه العنف وقتل الأبرياء في وقت كان أبرياء فلسطين يتعرضون للمذبحة، هل كشفت رغبته الجامحة في تجنيب الأبرياء شر القتل بالنضال من أجل السلم الحقيقي في أوساط المجتمع؟

ربما كشفت حساسية فتى ينمو في وجدانه كاتب متميز وقد امتلك لاحقا فنون استخدام الأدوات الأدبية للتعبير عن رؤيته لمجتمع ينتصر على أعدائه ويسوده العدل والمساواة ويغيب عنه الفارق الطبقي؟ ما هي المسيرة الطويلة التي خطها الفتى مبكرا في عالم الطفولة والدراسة والنضال والأدب؟

ولد محمود شقير في الخامس عشر من آذار العام 1941 في جبل المكبر جنوب القدس وظلّ دون اسم مدة أسبوع حتى عاد والده من الخليل ليمنحه لقبه الذي لمعت حروفه في الأدب والصحافة لاحقا ويحتل موقع الذكر الأول في الأسرة الصغيرة بعد ولادة شقيقتيه حليمة (1936) وآمنة (1938).

يعود محمود إلى عشيرة الشقيرات التي عاشت سنوات طويلة في "البرية" على امتداد سفوح جبل المكبر وتنحدر تلاله الجرداء باتجاه أريحا في الشرق، وقد عاشت من تربية الأغنام والمواشي وزراعة المحاصيل والقليل من التجارة، ثم أخذت تستقر بالتدريج في جبل المكبر منذ أربعينات القرن الماضي، وجاء محمود للأسرة بعد الاستقرار في المكبر بثلاثة أعوام.

تسلم جده عليان مشيخة العشيرة بعد استشهاد زوج أخته المختار إبراهيم حسن شقير: **"كان عائدا على فرسه من القدس العام 1933 وصادف مرور سيارة عسكرية لجنود الاحتلال البريطاني فارتعب الحصان وسقط تحت عجلات السيارة العسكرية، ثم تسلم والدي مشيخة العشيرة حتى العام 1953 عندما أعيدت لنجل الشهيد حسن إبراهيم شقير"**.

تعلم والده عبد الحافظ في دار الأيتام الإسلامية في القدس عندما نجح جدّه المختار في توظيف علاقاته الواسعة وتسجيله في المدرسة الداخلية، لكنه لم يواظب على الدراسة وغادر المدرسة بعد سنتين تمكن فيهما من القراءة والكتابة بشكل جيد. تزوج في المرة الأولى زواج بدل مع أحد أبناء عمومته، لكن لم يدم الأمر طويلا إذ طَلَق كل واحد منهما شقيقة الآخر. تزوج في المرة الثانية العام 1935 بعد أن شاهد أثناء موسم الحصيدة في الخان الأحمر قرب أريحا بنتا صغيرة أعجبته من عشيرة الزحايكة وكانت ابنة المختار ولم يتجاوز عمرها الثالثة عشرة آنذاك.

عمل بعد زواجه في تجارة الأقمشة والبضائع المختلفة وكان ينقلها على حمار أبيض من الخليل والقدس ويعود بعد بيعها إلى البيت في المساء: **"في إحدى الليالي الحالكة مشى باتجاه شباك البيت وأطلق النار من مسدس كان يحمله دوما بذريعة أنه شاهد لصا يقترب من المنزل أثناء قيامه بجردة حساب لتجارته، وأذكر أن كل الجيران أفاقوا على صوت الطلقة، وربما تخيل لحظتها أن لصا يقترب منه ليسرق ماله"**.

2

بعد النكبة الكبرى العام 1948 اشتغل والده رئيس ورشة بالمياومة في دائرة الأشغال العامة الأردنية وتنقل معها طوال سنوات عديدة في ربوع الضفة الغربية لشق الطرق، وكان يصطحب معه في العطلة الصيفية نجله محمود الذي أبدع لاحقا في توظيف هذه التجربة الغنية في كتابه المثير "مدن فاتنة وهواء طائش".

غادرت أسرة محمود "البرية" إلى جبل المكبر القريب من القدس، وهناك في جبل المكبر ولد محمود، ولم يكن في الجبل آنذاك سوى عدد قليل من العائلات التي جاءت من البرية، وكانت تقيم بعيدا عن بعضها بعضاً، بحيث ينفتح الليل على القصص والحكايات المخيفة، وتكشف حكايات الأجداد أن الليل الحالك والمسيطر على المكان يفتح الذاكرة على الخيال، فتنطلق القصص الشعبية المبنية على حكاية واقعية وبسيطة جدا، ثم تتعرض للتغيير في السرد بإضافة وقائع أسطورية مع مرور الزمن على

الواقع البسيط :"حدثتني جدتي في صغري أنها حينما كانت مقيمة في البرية وضعت صفائح الحليب على ظهرها واتجهت لبيعه في القدس، واكتشفت أنها في منتصف الليل وأن الفجر الكاذب خدعها ، فتعرضت في الطريق لهجوم ضبعين لكنها نجت منهما بأعجوبة. وكانت أمي حينما جاءت لتقيم في جبل المكبر عرضة لمخاوف شتى، إذ تسمع في الليل أصواتا مبهمة تنطلق في الليل من مكان قريب، ومن الجهة البعيدة المقابلة لبيتنا كانت تسمع صوت امرأة تدعو أفراد أسرتنا ليفيقوا من النوم قائلة: اصحوا يا دار عليان اصحوا . وكان الخوف يسيطر على أمي جراء ذلك، وقد أخبرتني أنها ذهبت ذات مرة لزيارة والدها الذي لم يغادر البرية وبقي فيها مع قطيع أغنامه، وشاهدت امرأة في الطريق بشعر أشعث، فخافت منها ومضت مسرعة كي لا تلحق بها هذه المرأة، وعرفت فيما بعد أن هذه المرأة فقدت عقلها عقب استشهاد شقيقها في حرب 1948 وظلت تتجول هائمة على وجهها من مكان إلى مكان. في الحكايات في ليل البرية تختلط الحقائق بالخيال، وقد سمعتُ كثيرا من الحكايات المختلطة بين الأسطورة والواقع، ومنها حكايات عن الرصد ، وهو الجان الذي يرافق ظهوره ضوء فيما هو يركض مسافة خاطفة قبل أن ينزل إلى بئر في الأرض" .

3

قبل أن يلتحق في زاوية الشيخ أحمد منصور ، زار القدس لأول مرة عندما كان في الخامسة من عمره، بهرته المدينة وأسواقها وظل حريصا على مرافقة والده كلما علم أنه سيتوجه للقدس. التحق بزاوية الشيخ منصور من أهالي جبل المكبر والمنتمي لفرقة صوفية :"كنتُ في السادسة من عمري، وكان عمي عمر منضوياً في الفرقة الصوفية رغم أنه ما زال شاباً ، وكان الشيخ شديدا في تعليم التلاميذ ، قضيتُ في التعلّم تحت إشراف الشيخ فترة قصيرة قبل التحاقي بالمدرسة الحكومية في السواحرة الغربية التي فتحت أبوابها قبل النكبة، ثم تعطل افتتاحها بعد النكبة فالتحقت مع الأطفال من أقاربي بمدرسة السواحرة الشرقية. وكنا نقطع وادي الديماس ونمشي مسافة ثلاثة كيلو مترات على الأقدام لبلوغ المدرسة في جو بارد وهواء عاصف في فصل الشتاء ، لم يدم الأمر سوى شهرين أو ثلاثة أشهر عندما انتقلت للصف الثاني الابتدائي في المدرسة التي أعيد افتتاحها في السواحرة الغربية بعد أشهر من النكبة الكبرى. علمني مادة الرياضيات فيها الأستاذ محمد الطويل من القدس وكان عنيفا وجبارا يحمل دوما مسطرة من حديد ويضرب بها الطلبة على ظهور أيديهم، فيما كان الأستاذ محمد دكيدك قصيرا ومهذبا بينما كان المعلمان داود عطية عبده ومحمد جوهر يشرحان دوما الأحداث السياسية التي تعصف بالمنطقة، وكنتُ قبل أن أبلغ الثانية عشرة أعرف كثيرا عن القضية الفلسطينية واللجوء والنكبة" .

شَهَد أحداث النكبة طفلا وأدرك خطورتها من خلال أحاسيسه :" سمعتُ العام 1947 انفجارا ضخماً لم أسمع له مثيلا

في طفولتي، هَز شارع يافا ومنطقة باب الخليل وعلمتُ لاحقا أن العصابات الصهيونية استهدفت به فندق الملك داود في القدس، كنتُ حينها برفقة والدتي في عيادة للراهبات في باب الخليل لعلاج شقيقتي، على الفور أغلقتْ الراهبات بوابة مبنى العيادة، وبعد وقت قصير سمعتُ صوت جدي يطلب خروجنا من المبنى، أحضر شاحنة صغيرة لنقل الأطفال والنساء والعودة بهم إلى جبل المكبر، جلس جدي بجانب السائق وطلب من النساء والأطفال الصعود إلى الصندوق الخلفي للشاحنة، بدت الشاحنة بالتحرك للانطلاق وأنا ما زلتُ على الأرض فانتبه لي في اللحظة الأخيرة وساعدني على الصعود إلى جواره، وتمكنتُ بعد خمسة عشر عاما من استعادة المشهد وتركيبه في قصة قصيرة حملت عنوانا هو "متى يعود إسماعيل؟" استنادا للوقائع التي عايشتها في باب الخليل والخوف على المصير الفردي من الانفجارات في مدينة باتت مهددة وغير آمنة ونشرتها العام 1963 في مجلة الأفق الجديد المقدسية".

تسلم جده المختار عليان مطلع الأربعينات "راديو" من سلطات الانتداب البريطانية يعمل على بطارية شحن، وكان رجال المنطقة يتجمعون في ضيافته لمتابعة النشرات الإخبارية وضمن محطات إذاعية حددتها سلطات الاحتلال البريطانية، ومع تسارع الأحداث وتزايد الاشتباكات المسلحة أواخر العام 1947 شهد محمود تجمعات الرجال حول المذياع لمتابعة الأحداث: **"تطوع خالي علي الشاب اليافع مع مجموعة الزنار الأحمر التي كانت تشارك في الدفاع عن البلاد، وسمعته يروي لجدي مشاهداته في القدس، ويحكي رؤيته لليهوديات المسلحات بجانب الجنود، وأبدى جدي استغرابه من مشاركة النساء في القتال، ومع استمرار روايته للأحداث والاشتباكات كان القلق يساور جدي بغموض الأيام المقبلة".**

توسعت الاشتباكات المسلحة بين العصابات الصهيونية من جهة والمليشيات الفلسطينية والقوات العربية بقيادة الضابط السوري فوزي القاوقجي من جهة أخرى، كانت الخطة الإسرائيلية تقضي باحتلال جبل المكبر لكن القوة العربية المتمركزة في جبل الطور وصور باهر تصدت لهم وأجبرتهم على الانسحاب في معركة شهيرة وقعت في مطلع حزيران العام 1948 وحالت بذلك دون سقوط المكبر في قبضة المحتل: **"أفقتُ مذعورا منتصف الليل على إطلاق نار كثيف، ورأيتُ جدي يحمل بارودة وعلى صدره أحزمة رصاص، طلب مغادرتنا وإخلاء البيت بالسرعة الممكنة، اتجهتُ برفقة والدتي وشقيقتي إلى حي الجديرة شرق جبل المكبر، قطعنا عند الفجر وادي الدياس الواقع بطريق وادي النار، وشاهدتُ امرأة من أقربائي ملقاة على الأرض وتبكي فوق متاعها وحملها الكبير دون مساعدة من أحد، كانت قوافل الناس تحاول الابتعاد نحو الشرق بعيدا عن الاشتباكات. لم يتوقف إطلاق النار حتى الصباح. تابعنا الفرار شرقا حتى حي الحزيم، وأقمنا فترة قصيرة في بيت محمد عبد الله شقيرات، أحد الأقرباء، حتى وصل نبأ استشهاده. غادرنا المنزل على مسافة قصيرة ونصبت لنا أمي "حُجرة" منسوجة من صوف الأغنام لحمايتنا من شمس الصيف، وقضينا ثلاث ليال في العراء. عاد والدي بحماره الأبيض وتجارته البسيطة واستأجر لنا بيتا في السواحرة الشرقية، مكثنا فيه طوال أربعة**

شهور حتى هدأت الاشتباكات المسلحة، واستقرت الأوضاع باحتلال القدس الغربية وثلاثة أرباع الأرض في فلسطين".

لم يغادر جده عليان وجدته البيت مع النازحين نحو الشرق وظلا به طوال فترة الحرب، وعندما استقرت الأوضاع قليلا قرر محمود وشقيقته الكبرى حليمة زيارتهما في الجبل: **"قطعتُ برفقة شقيقتي طريقا موحشة وطويلة لا تقل عن ثلاثة كيلو مترات تحت شمس آب الحارقة نحو بيت جدي، كانت البيوت خالية من سكانها وشعرتُ برهبة من صمت المكان وغياب الناس، وأحسستُ بشكل عفوي بنتائج الحرب. غضب جدي من السماح لنا بزيارته في أجواء غير طبيعية وحرارة شمس مرتفعة، عدنا بعد زيارة خاطفة ومكثتُ في البيت مريضا اثر ضربة شمس. استعدتُ المشهد تماما من ذاكرتي بعد سنوات طويلة، وكتبتُ أول قصة قصيرة تحت عنوان "ليل ولصوص" نشرتها العام 1962 في مجلة الأفق الجديد، وكانت تلك أول قصة تنشر لي في بداية حياتي الأدبية".**

4

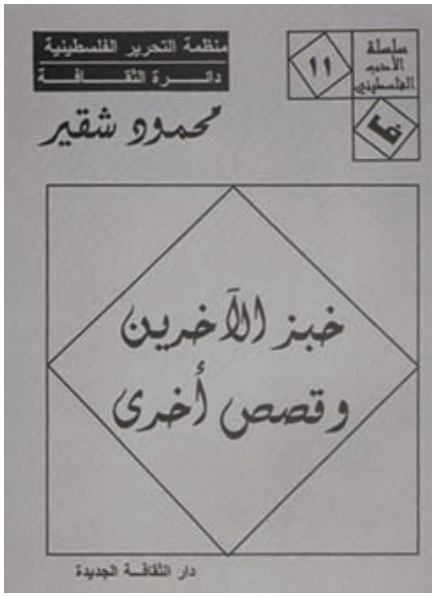

واصل محمود دراسته في مدرسة السواحرة الغربية حتى الصف السادس الابتدائي متأثرا بمعلميه محمد جوهر وداود عبده اللذين تخرجا من كلية النهضة في القدس وانتسبا مبكرا لحزب البعث، وكانا حريصين على توعية الطلبة بشأن الأوضاع في فلسطين: **"أرسلتْ القنصلية البريطانية العام 1953 سيارة لعرض فيلم على جدار مدرسة السواحرة يتناول طقوس تتويج الملكة إليزابيث، أرسل الأستاذ داود شقيقه الصغير للتحريض على منع عرض الفيلم، وبدأنا نهتف بصوت جماعي ومرتفع: تعيش مصر تسقط بريطانيا، وبدأ الشبان بتحريك سيارة العرض في محاولة لقلبها، ولم يكتمل عرض طقوس تتويج الملكة".**

أنهى الصف السادس الابتدائي ولم يقرأ سوى كتاب واحد خارج المنهاج المدرسي: **"وزع المعلمُ أثناء الحصة المدرسية مجموعة من الكتب المتنوعة على زملائي الطلبة، وحصلتُ على كتاب عنوانه "العرندس" قرأتُ في صفحاته نصاً فكاهياً ممتعاً قبل أن يسحب الأستاذ الكتب في نهاية الحصة".**

كانت خياراته بعد نهاية المرحلة الابتدائية محددة بمسارين: مدرسة صور باهر الإعدادية أو الرشيدية الثانوية في

القدس: **"ذهب والدي إلى بلدياته محمد زعيتر الموظف في بلدية القدس وطلب مساعدته لضمان قبولي في الرشيدية، توجه زعيتر لمدير المدرسة عبد اللطيف الحسيني وتم قبولي للصف الأول إعدادي في أيلول العام 1953"**.

تعلم في الرشيدية ست سنوات أنهى فيها دراسته الإعدادية والثانوية ونال في خاتمتها شهادة "المترك" العام 1959 وشكلت هذه المرحلة فترة حاسمة في حياته وتركت بصمتها على استقلالية شخصيته ومساره الفكري واتجاهاته وطبيعة مهنته: **"تعلمتُ منذ الأيام الأولى ركوب الدراجة الهوائية وأخذتُ بالتجول في كل أحياء المدينة وتعرفتُ على كل شوارعها وحاراتها، وأجريتُ حوارات مع السياح وتبادلتُ معهم العناوين وكتبتُ لبعضهم دون أن أتلقى ردودا. اعتمدتُ على نفسي بالتنقل بين المكبر والقدس قبل أن يلتحق بي زملائي الذين تابعوا دراستهم في صور باهر. شدتني دور السينما وواظبت على حضور الأفلام على تنوعها وأعترفُ أنها ساهمت في تعزيز معرفتي العامة. من أبرز أساتذتي اليساري التقدمي فريد مجج الذي علمني اللغة العربية، طلب منا في أحد دروس الإنشاء الكتابة في موضوع غريب وبعنوان "قرش يتكلم". كتبته بشكل جيد وطلب مني قراءته أمام الطلبة وأبدى اهتماما بطريقة عرضي الشيق للموضوع وأسلوب بنائه وقد شجعتني ملاحظاته على الكتابة. فتح الأستاذ المصري محمود حسين أذهاننا على كثير من القضايا العامة، وأبدع في توظيف نكاته وخفة دمه في الصف المدرسي وسرد الحكايات متداخلة مع القصائد وبلاغة اللغة، وتمكن ببساطة متناهية من جذب انتباه معظم زملائي في الصف وتركت طريقته في التعليم أثرها في نفسي. أيضا الأستاذ أحمد الطيب وهو فلسطيني من أصل مغربي كان حريصا على شرح الدروس باللغة الفصحى وبارعا باستخدام تنوع مفرداتها. في الرشيدية تعرفت على المطالعة بمعناها الحقيقي واشتريتُ كتبا للأديب العربي جورجي زيدان وقرأتُ ماجدولين من تعريب الكاتب المصري مصطفى المنفلوطي وطالعتُ مجموعة من كتب الأدب، لكني لم أتمكن من بناء معلوماتي العامة بشكل جيد. طلب مني مدير المدرسة الحسيني المشاركة في مسابقة طلابية قامت ببثها الإذاعة الأردنية، وسألني المذيع عن الأسماء التاريخية للقدس، وبدأت للأسف وأنا أراقب اعتراضه بتحريك رأسه بتسمية أحياء المدينة بدل الأسماء التاريخية: يبوس، اورسالم، كابتولينا وبيت المقدس وغيرها، خلق هذا الموقف تحديا لديّ للتنقيب جيدا عن القدس. أبديتُ اهتماما بالإذاعة المدرسية ورغبتي الجامحة في قراءة نص على الميكروفون الخاص بها لكني فشلت في ذلك ويبدو أن خجلي وغياب الثقة بقدراتي أغلقا الطريق أمامي على ميكرفون الإذاعة المدرسية".**

رافق والده أثناء عمله بشق الطرق مع وزارة الأشغال، وتنقل طوال العطلات الصيفية المدرسية بين المناطق المختلفة في الضفة، وأقام صيف العام 1957 في حي الطيرة في رام الله خلال شق طريقها وكذلك في قرية عين عريك، وكان حريصا على المطالعة لتبديد وقت فراغه الطويل، وسجل لاحقا انطباعاته ومشاهداته للمواقع في كتابه مدن فاتنة وهواء طائش.

تزامنت دراسته في الرشيدية مع تنامي الحركة الوطنية وظهور الاتجاهات القومية من ناصرية وبعثية وحركة القوميين

العرب وتزايد نشاط الحزب الشيوعي الأردني وحزب التحرير والإخوان المسلمين : "**شَهِدتْ تلك الفترة نشاطا عاما ودورا واضحا للأحزاب السياسية في محاولة لمواجهة نتائج النكبة، وفي محاولة للتصدي للنشاطات الحزبية المتزايدة، وزعت الحكومة الأردنية على المدارس كتابا بعنوان"هذه الشيوعية في الوطن العربي" للكاتب عبد الحفيظ محمد وجاء العنوان بخط أحمر والغلاف يقطر دما . برز البعثيون في نشاطهم بقيادة عبد الله نعواس وبهجت أبو غربية ونظموا مجموعة من التظاهرات الشعبية، كنتُ وقتها متديناً ومعادياً للشيوعية ومتأثرا بأفكار البعث، كنت أشارك في التظاهرات حينما تكون سلمية وكنت أبتعد حينما يبدأ إطلاق الرصاص على المتظاهرين خوفاً مما قد يحدث لي من أذى. استشهدت في أحدى التظاهرات العام 1955 طالبة في المدرسة المأمونية هي رجاء أبو عماشة برصاص الجيش الأردني لدى محاولتها انتزاع العلم البريطاني من فوق مبنى القنصلية، وكان شقيقها يدرس معنا في الرشيدية. كنت أشارك في المهرجانات الانتخابية لمرشحي حزب البعث التي كانت تعقد في مقهى زعترة في باب العامود دون تأييد لفكرة البعث الاشتراكية. بقيتُ مراقبا لنشاطات حزب البعث ولم ألتحق بعضويته. تزايد إعجابي بشخصية الرئيس المصري جمال عبد الناصر بعد تأميم قناة السويس وبعد الوحدة السورية المصرية العام 1958 والاستماع لأغاني فايدة كامل وعبد الحليم حافظ، وسيطرت بداخلي نزعة للسفر إلى القاهرة لعلني أجد فرصة في الغناء والتمثيل السينمائي والكتابة، أو متابعة دراستي في جمهورية مصر العربية، لكن أحلامي تكسرت بحصولي على معدل 77 بالمائة في امتحان المترك وضاعت آمالي بمتابعة دراستي الجامعية في مصر".**

5

كتب رسالة للشيخ محمد الشنقيطي وزير التربية والتعليم الأردني في عمان يطلب مساعدته في تحقيق رغبته بالدراسة في مصر عقب تخرجه العام 1959 بشهادة المترك من المدرسة الرشيدية، لكن بعد شهر على الرسالة ظهر اسمه في كشوف المعلمين المرشحين للوظائف في التربية والتعليم، قابل مدير التربية في القدس وأخبره بقرار تعيينه في مدرسة خربثا بني حارث الابتدائية التي تبعد خمسة وعشرين كيلومتراً عن رام الله.

تسلم وظيفته كمعلم في مدرسة خربثا بني حارث، وأقام في القرية طوال أربع سنوات تعرف فيها على مشهد القرية وتركيبتها الجغرافية وامتدادها بشكل مغاير عن مشاهداته في جبل المكبر حيث يستقر السكان كيفما اتفق قادمين من البرية الواسعة الممتدة شرق المكبر. اشتركتْ المدارس آنذاك بمجلة "الأفق الجديد" العام 1961 وتابع بشغف كتاباتها وأبدى اهتماما بما اشتملت عليه من قصص وقصائد ومقالات، وبدأت محاولاته في الكتابة بهدف انتزاع مساحة خاصة

به يروي عبرها ما يشاء من حكايات بعيدا عن زجر الكبار وردا على إجراءات جده بطرده صغيرا من المضافة عندما كان يستعد للتقاضي بين الخصوم، وأيضا من أجل النشر على صفحات مجلة يتابعها بانتظام، لكنه سجل فشلا في كتابة قصص قابلة للنشر.

التقى أمين شنار رئيس تحرير "الأفق الجديد" أواخر العام 1961 وشجعه على مواصلة محاولاته لكتابة قصص تستحق النشر: **" الأستاذ أمين شنار من البيرة وكان أمير حزب التحرير، إسلامي منفتح الذهن وخدم كل جيل الشباب، وبقيتُ على تواصل معه حتى انتزعتُ نشر أول قصة "ليل ولصوص" على صفحات مجلته العام 1962 وفرحت جدا باسمي يلمع فوق صفحات مجلة مرموقة، وواصلتُ نشر قصصي على صفحات الأفق الجديد، وهمس الأستاذ شنار بأذني أنه إذا تابعتُ الكتابة بهذه الطريقة فسوف أكون من بين نخبة الكتاب العرب المعروفين، وواصلتُ النشر على صفحات المجلة حتى العام 1966. تعرفتُ من خلال المجلة على بعض المثقفين الشيوعيين وبخاصة محمد البطراوي الذي كان يكتب مقالات نقدية، ولفت نظره أن كتاباتي تتناول هموم الكادحين وطبقة الفقراء"**.

سجل العام 1960 للدراسة بالانتساب في قسم الفلسفة وعلم الاجتماع بكلية آداب جامعة دمشق بعد الحصول على التوجيهي المصري بتسهيل من مدير المدرسة الإبراهيمية نهاد أبو غربية الذي وافق على دوامه يوما واحدا في الأسبوع بحكم وظيفته كمعلم. غادر منطقة القدس لأول مرة باتجاه دمشق وبهرته العاصمة العربية المترامية الأطراف، وتعرف فيها على زميل دراسته صبحي شحروري الذي كان من أبرز كتاب القصة القصيرة في مجلة الأفق الجديد، ثم برز لاحقا في النقد الأدبي: **"عدتُ إلى**

دمشق بعد سنة على انتسابي للجامعة لتقديم امتحانات نهاية العام، التقيتُ عمر القاسم الذي درس معي ورافقني في الرشيدية وكان منتسباً للجامعة أيضا ، أخبرني بوفاة جدي عليان وأنه قرأ إعلان النعي في الصحف، مات جدي عن خمس وثمانين سنة ولم أتمكن من حضور جنازته، فيما استشهد القاسم في سجون الاحتلال مطلع التسعينات بعد سنوات طويلة جدا على اعتقاله، ودفن في القدس وكتُ حينها في المنفى" .

6

قرأ كثيرا منذ العام 1958 في الكتب العديدة للشيخ المصري الأزهري خالد محمد خالد وبخاصة كتابه "هذا أو الطوفان" ودقق في مواقفه الليبرالية ونظرته للدين وعرضه بطريقة منفتحة بعيدا عن التزمت الأمر الذي خفف نزعة الغضب في داخله، وتابع قراءة سلامة موسى الكاتب المصري النقدي متداخلة مع المواظبة على قراءة روايات نجيب محفوظ والأدب الروسي، وواصل التعمق بالفكر الماركسي من أجل دحضه وتعزيز عدائه للشيوعية، لكن مع الجدل النظري المتزايد بمواجهة أصدقائه الشيوعيين ومتابعة الاتهامات بحقهم في موضوعي الإباحية والإلحاد ، انقلبت أفكاره رأسا على عقب وبدأ مسيرة الاقتراب من الحزب الشيوعي :**" قدمتُ العام 1965 طلب انتساب للحزب الشيوعي السري في ذلك الوقت، وبفترة حرجة يحتجز فيها النظام الأردني المئات من الشيوعيين في سجن الجفر الصحراوي الرهيب على خلفية تناقضهم مع النظام. أطلق الملك حسين سراح عدد كبير من أعضاء الحزب الشيوعي لكن ما لبث أن نفذت أجهزته حملة جديدة للكوادر طالت الأغلبية، ولحسن حظي لم أعتقل في الحملة، كنت غير مكشوف وأمارس نشاطاتي بسرية تامة، ولم يتبق من رفاقي سوى قلة نادرة تعمل بصمت في مواقع شتى وكنا نلتقي من حين لآخر" .**

التحق العام 1965 بوظيفة جزئية كمحرر مشرف على الزاوية الثقافية في صحيفة "الجهاد" التي تصدر في القدس، ونشر على صفحاتها الأدبية نصوصا لمجموعة كبيرة من الشبان والشابات، لم تستمر التجربة طويلا إذ قررت الحكومة الأردنية دمج صحيفتي الجهاد وفلسطين تحت اسم "القدس" وصحيفتي الدفاع والمنار تحت اسم "الدستور" وواصل الكتابة في القدس :**"تابعتُ الكتابة لكن لم أكن محررا للزاوية الثقافية، فقد أرسلت وزارة الإعلام الأردنية بطاقم من كتابها :محمود الكايد ، راكان المجالي، الياس جريسات وكمال أباظة، وكنت أكتب مقالاتي فينشرها المجالي، وعندما نفذ الجيش الإسرائيلي مذبحة السموع في الخليل العام 1966 شعرت بهزة قوية بداخلي وأصبت بحرج كبير لأني لم أتمكن من الكتابة المباشرة عن الاعتداء الخطير والتظاهرات التي اندلعت في الضفة احتجاجا على الجريمة الإسرائيلية، وخضعت الصحافة للرقابة المشددة" .**

7

عندما وقع عدوان حزيران العام 1967 كان يراقب على امتحان الثانوية العامة في مدرسة "تراسنطا" داخل البلدة القديمة: **"يوم الخامس من حزيران كنا تقريباً في ختام امتحانات الثانوية العامة، مع انتشار نبأ اندلاع الحرب خرجت من قاعة الامتحان لأجد المدينة خاوية بلا حركة ولا سيارات، سلكتُ مشيا طريق ستنا مريم باتجاه المكبر، وبعد ساعات قليلة من الاشتباكات المتواصلة تمكنت القوات الإسرائيلية من احتلال جبل المكبر، ونزحتُ مع زوجتي وطفلي خالد وأمين وأفراد أسرتي الكبيرة مرة جديدة باتجاه الشرق، مكثنا أسبوعين بعيدا عن البيت ثم عدنا مع هدوء الوضع".**

رفع المعلمون بعد الاحتلال شعار مقاطعة التعليم، وشارك محمود في تشكيل اتحاد المعلمين: **"كنت عضواً في الأمانة العامة للاتحاد، وكنتُ وعمر القاسم وطاهر النمري وآخرون في لجنة منطقة القدس التابعة للاتحاد، لكن عمر بدأ بتجميع صفوف القوميين العرب لتنظيم خلايا مسلحة، ثم اختفى فترة من الوقت وغادر إلى الأردن وبعد ذلك اعتقل مع خلية مسلحة دخلت إلى فلسطين. أضربنا ثلاثة أشهر تحت شعار مقاطعة التعليم تحت الاحتلال، لكن قررنا العودة للمدارس رأفة بمستقبل الطلاب وللنضال من داخل المدارس وقطع الطريق على الاحتلال لتغيير المناهج التربوية، وكنت آنذاك معلماً في مدرسة الملك غازي الثانوية الواقعة في قرية بدو، وهي من قرى شمال غربي القدس".**

نشط في صفوف الحزب الشيوعي تحت قيادة فايق وراد، نعيم الأشهب وسليمان النجاب وأخذ بكتابة مقالات سياسية بتوقيع فارس أبو بكر ونشرها في صحيفتي "القدس" و"الاتحاد" الحيفاوية، وكذلك قصص أدبية تحت اسم مستعار يحمل توقيع ربحي حافظ، لكنه لم يواظب على الكتابة الأدبية لانهماكه في النشاط السياسي: **"كانت غلطة فادحة، وتمنيتُ لو عثرت على من ينصحني بدوام الكتابة الأدبية، وطوال ست سنوات بدءا بالعام 1969 لم أكتب قصة أدبية واحدة، وتركزت كل كتاباتي على المقالات السياسية، وقد أجريتُ مراجعة صارمة للأمر أثناء اعتقالي الثاني".**

8

اعتقل للمرة الأولى العام 1969 بتهمة التحريض الواسع وتنظيم طلاب ومعلمين وعمال في صفوف النقابات والحزب الشيوعي: **"أصدر الحاكم العسكري أمرا بنقلي أواخر العام 1968 من مدرسة الملك غازي الثانوية في بدو إلى مدرسة عين يبرود الإعدادية، لكن في الثامن والعشرين من تموز العام 69 طوق جنود الاحتلال بيتي ولم أتمكن من الهرب، وفي اليوم الثاني للأسف أعدمت والدتي أرشيف صوري وكتبي خوفا من عودة أجهزة الأمن ومصادرتها. منذ اعتقالي**

وضعني الحزب على كادر المتفرغين الحزبيين، واستمر هذا الأمر حتى العام 1978، وفي الوقت نفسه عملت في التدريس بعد الخروج من السجن، وذلك للبقاء قريباً من تجمعات المدرسين والطلبة".

أطلق سراحه في السابع من أيار العام 1970 بعد قضاء عشرة أشهر في الاعتقال الإداري في سجن الدامون الواقع على جبل الكرمل بالقرب من حيفا، وكان قد تعرض في سجن صرفند العسكري للتحقيق ولم تتمكن أجهزة المخابرات من انتزاع اعتراف بالإدانة فحوّلته للاعتقال الإداري: **"تعرضتُ للفصل التعسفي من وظيفتي في جهاز التعليم، وأطلق سراحي تحت تهديد بالاحتجاز الطويل إذا واصلتُ نشاطاتي الحزبية والنقابية. عملتُ فيما بعد معلما لمدة عام في المعهد العربي الكويتي الذي افتتح حديثا في بلدة أبو ديس، والتابع لمدارس حسني الأشهب، لكن مدير المعهد راتب الأنصاري فصلني مع زميلي الأستاذ عادل عيد الذي كان قد أنهى فترة من الاعتقال في سجون الاحتلال بتهمة الانتماء للجبهة الشعبية. شعر الأستاذ حسني الأشهب بالإحراج من جراء هذا الفصل التعسفي، وأصدر العام 1971 مذكرة بتعييني وزميلي عادل في مدرسة دار الأيتام الثانوية المسائية الواقعة في طريق الواد في البلدة القديمة. علمتُ الفلسفة واللغة العربية عدة أشهر، وفي نهاية العام قدمتُ استقالتي من المدرسة وانصرفتُ كلياً إلى التفرغ الحزبي ولتكريس جهد أكبر في العمل التنظيمي داخل الحزب".**

9

نشط في صفوف الجبهة الوطنية التي تشكلت في الخامس عشر من آب العام 1973 ولعب الحزب الشيوعي دورا مركزيا بتأسيسها بمشاركة القوى والفصائل الوطنية: حركة فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية وشخصيات مستقلة: **"كنتُ مندوب الحزب في لجنة منطقة القدس التابعة للجبهة الوطنية، فيما مَثّل الحزب في قيادة الجبهة عربي عواد، وأصدرت الجبهة الوطنية صحيفة فلسطين في شكل نشرة سرية من صفحتين، وكنتُ عضوا في هيئة التحرير إلى جانب اليساري إبراهيم الدقاق، والناصري غسان طهبوب، وأصدرنا عددا يتيما قبل أن يتعرض الحزب لضربة ساحقة باعتقال معظم**

كوادره وهيئاته القيادية، وعلى إثرها تم إبعاد ثمانية من قيادة الجبهة وكادرها مطلع العام 1974 وأبرزهم: عربي عواد، عبد الجواد صالح، عبد المحسن أبو ميزر، ضمين عودة وجريس قواس".

بعد نتائج حرب أكتوبر العام 1973 وانتصار الجيش المصري على قوات الاحتلال الإسرائيلي وعبوره قناة السويس، نهض الشارع الوطني الفلسطيني مجددا وبدأت تحركات جماهيرية واسعة شكلت الجبهة الوطنية عنوانها، ونفذ الاحتلال حملة اعتقالات احترازية استهدفت كادر الحزب الشيوعي: **"تعرضت الجبهة الوطنية للضربة الإسرائيلية المباشرة بعد وقت قصير في ظل مناخ مؤيد لها جماهيريا، ولو استمرت فترة أطول ربما تمكنت من استقطاب الشارع الوطني، لكن كشف الخلايا المسلحة والنشيطة دفع الاحتلال لتوجيه ضربة للجبهة، ونفذت أجهزته حملة اعتقالات واسعة بدءا من القدس بدعوى العثور على سلاح عند أحد الرفاق في القدس، وتواصلت الحملة بموجة من حملات الإبعاد".**

اختفى محمود في بيت سري بمدينة البيرة لثلاثة أسابيع تقريبا في وقت كان فيه عربي عواد مختفيا أيضا في المنطقة: **"أقمتُ قبيل عيد الفطر في منزل استأجره الرفيق عادل البرغوثي من رجل مسن ووحيد، كان متطفلا وكثير الأسئلة عن وضعي الشخصي. في اليوم الأول للعيد سألني: لماذا لا تذهب عند عائلتك؟ أخبرته أنني مسيحي من بلدة الطيبة وبانتظار تعييني موظفا في مكتبة الدير. وكلما أشعلتُ الضوء ليلا للقراءة كان يصيح لإطفائه التزاما بتعليمات سلطات الاحتلال التي أمرت بخفض الأضواء بمناسبة حرب أكتوبر. غادرتُ البيت السري في البيرة بعد انتهاء الحرب، وعدتُ إلى منزلي في المكبر، وتوجهتُ صباح التاسع عشر من نيسان العام 1974 برفقة قريبي النقابي أحمد شقير إلى الشارع الرئيس انتظارا للحافلة المتجهة إلى القدس، وقبل أن تصلنا سبقتها سيارة بيضاء صغيرة، توقفت بجوارنا ونزل منها رجال غرباء بملابس مدنية وأجبرونا على الصعود إليها. تخلصتُ من خمسة أعداد من صحيفة فلسطين السرية الناطقة باسم الجبهة الوطنية كانت في جيبي. احتجزوني في سجن المسكوبية عدة ساعات ثم نقلوني إلى سجن رام الله**

عبر باب العمود ، في الطريق لاحظني أحد الإسرائيليين مقيدا بين الجنود ، أخذ بالصراخ والتهديد برغبته في ضربي ، فاستجاب جنود الاحتلال لرغبته وأوسعوني ضربا . في السجن علمتُ بوجود عادل البرغوثي وسمعتُ صوت خالد الأشهب بجواري في الزنزانة . في تلك الأثناء تم القبض على سليمان النجاب قريباً من البيت السري الذي كان مختفياً فيه في حي الثوري بالقدس . كان خارجاً من البيت في الصباح المبكر حينما وقع في كمين نصبه له رجال المخابرات الإسرائيلية . أخضعت المخابرات سليمان النجاب للتحقيق السري وفي زنزانة عزل وهددوه بالقتل دون أن يعرف أحد عنه شيئا خاصة وأن الجميع يعرف بأنه مختف . صمد في التحقيق القاسي ولم يقدم اعترافا . علم سجين جنائي بوجوده وأخبر الأسرى ثم علمت المخابرات الإسرائيلية التقدمية فيليتسيا لانغر بوجوده في السجن ، وتكشف أمر اعتقاله وفقدت المخابرات سلاح تهديدها بقتله" .

10

قضى ثلاثة أشهر في الاعتقال الإداري في سجن رام الله ، ونقل بصورة مفاجئة إلى زنزانة انفرادية في سجن الجلمة ، وكان بجوار زنزانته مجموعة من رفاقه : سليمان النجاب ، جمال فريتخ ، خلدون عبد الحق ، خليل حجازي ومحمد أبو غربية . وضعوه في زنزانة كان فيها غسان حرب الذي أعادوه إلى سجن رام الله : **"تعرضتُ للعزل والضغط النفسي طوال ست وثلاثين يوما ، ولم أتعرض خلالها للضرب ، وذلك لغياب اسمي عن قوائم الخلايا المسلحة ، نقلتُ إلى غرف السجن لفترة قصيرة ، ثم تم توزيعنا على عدة سجون : نقلتُ برفقة محمد أبو غربية إلى سجن كفار يونا – بيت ليد غربي مدينة طولكرم ، ونقل النجاب إلى سجن الرملة والباقي إلى سجني نابلس ورام الله . تسلمتُ أمرا عسكريا بالاعتقال الإداري لمدة ستة أشهر . أثناء وجودي في كفار يونا تمكنتُ من الاتصال بدار صلاح الدين للنشر التي أسسها حديثا في القدس الكاتب الياس نصر الله من شفا عمرو ومعه مجموعة من الشباب من وراء الخط الأخضر ، وتم الاتفاق على تجميع قصصي الأدبية التي نشرت في مجلة الأفق الجديد ، لإصدارها في كتاب حمل عنوان "خبز الآخرين" وصمم غلافه الفنان سليمان منصور وكتب مقدمته الشاعر توفيق زياد" .**

شهد سجن كفار يونا احتجاز مجموعة كبيرة من المعتقلين الإداريين ، ناقشوا معا ظروف اعتقالهم وقرروا الإضراب عن الطعام أسوة ببقية السجون احتجاجا على الاعتقال التعسفي : **"أقدمت إدارة السجن على نقل المضربين إلى قسم خاص للانفراد بنا والحيلولة دون تضامن باقي الأسرى مع قضيتنا . بعد أربعة أيام على الإضراب جاء ضابط عند الساعة التاسعة مساء وطلب مني ومن عبد الله السرياني مغادرة القسم إلى زنزانة انفرادية ، وعند الساعة الثالثة جاء الضابط وربط عصبة على عيني وأخرى على عيني عبد الله ، ونقلنا إلى سيارة جيب عسكرية انطلقت في رحلة طويلة ، وفي**

الطريق سمعتُ صوت النجاب يسأل عن سر وجهتنا ، لم يتلق إجابة ثم سمعتُ أصوات المجموعة المحتجزة والمقيدة بين الجنود ، وعند الصباح تبين أننا خمسة أسرى ، ثلاثة من الضفة ورفيقان للجبهة الشعبية من غزة ، تقف معا مقيدي الأيدي على الحدود الجنوبية اللبنانية" .

11

صباح الثامن والعشرين من شباط العام 1975 قرأ عليهم جنود الاحتلال بلاغا عسكريا بإبعادهم بذريعة "خطرهم على الأمن" ، تسلم كل واحد منهم راية بيضاء وحقيبة تحتوي ساندويش وحبتي فاكهة وزجاجة ماء ودينارين وطلبوا منهم السير باتجاه نقطة الحدود اللبنانية رافعين الرايات البيضاء ودون النظر للخلف : **" قبيل وصولي نقطة المراقبة اللبنانية بأمتار قليلة ألقيتُ بالراية البيضاء أرضا ، احتج الجندي وطلب مني إحضارها . كنا ما زلنا مضربين عن الطعام ، حظينا باستقبال كريم من أهالي بلدة لبنانية أظن أنها يارين ، ووصلنا مندوب منظمة التحرير الفلسطينية للاطمئنان والترحيب ، نقلنا الجيش بمركبة عسكرية من البلدة المضيافة إلى مقر وزارة الدفاع اللبنانية في العاصمة بيروت ، وطوال الطريق من الجنوب باتجاه الشمال كنتُ مقيدا**

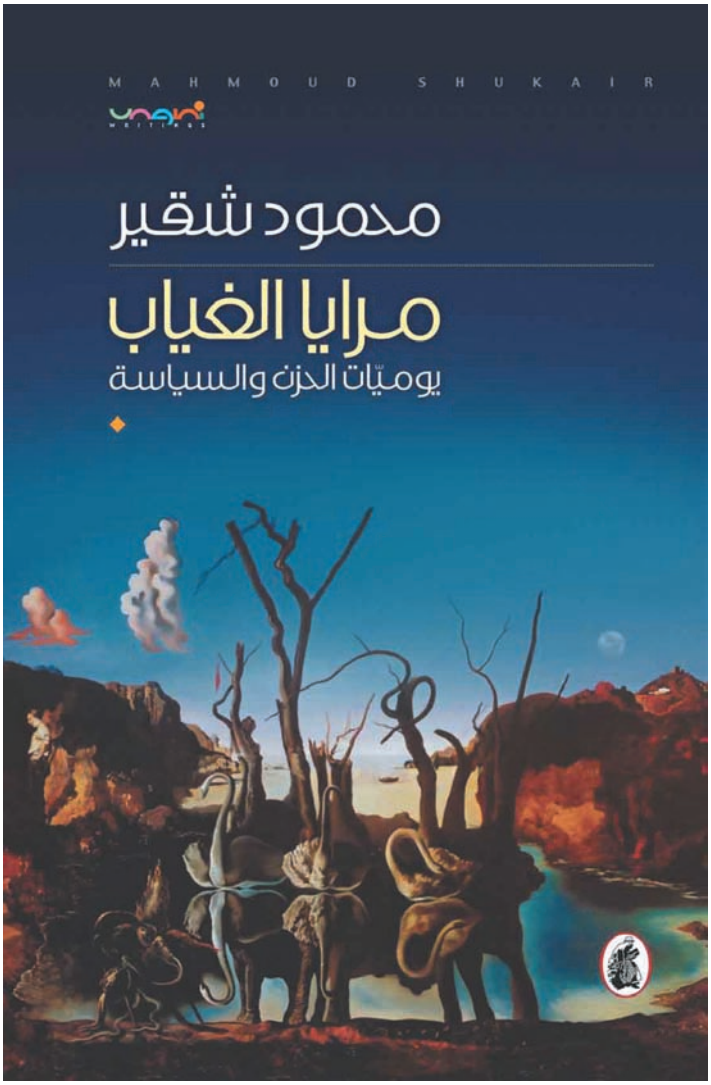

أنا والنجاب بقيد واحد في يدينا . حقق معنا جهاز المخابرات للتأكد من أننا لسنا جواسيس لإسرائيل !؟ وتم نقلنا إلى سجن الرمل، واضطررنا لتناول الدينارين من الحقيبة لشراء وجبة طعام. أطلقت إدارة السجن سراحنا بعد اتصالات من قيادة منظمة التحرير مع الجهات المسؤولة في بيروت، ونقلنا إلى فندق البوريفاج، وقابلنا في الأيام التالية قيادة المنظمة والفصائل الفلسطينية واللبنانية وفي مقدمتهم الرئيس ياسر عرفات".

مكث في بيروت ثمانية أشهر، واندلعت خلالها الحرب الأهلية في الثالث عشر من نيسان 1975 اثر مذبحة عين الرمانة التي استهدفت لاجئين فلسطينيين كانوا في حافلة ركاب للمشاركة في مهرجان وطني. التحق بمجلة "فلسطين الثورة" كمحرر لشؤون الأرض المحتلة وانتبه لأهمية الكتابة خاصة وأنه تم استقباله في بيروت ككاتب: **"استعدتُ أجواء الكتابة بمجموعة خبز الآخرين، وأعترف أنها كانت قصصا تقليدية وليس سهلا مواصلة الكتابة بالأسلوب السابق في ظل تجربة جديدة. نشرت بمجلة فلسطين الثورة قصة جديدة تحت عنوان "الوطن" تدور حول تجربة الإبعاد، لاقت نجاحا واعتبرها النقاد نقلة نوعية في الكتابة وبلغة جديدة، وحينها حاسبتُ نفسي على إهمال الكتابة الأدبية سنوات طويلة".**

نشر أيضا إضافة إلى المقالات السياسية قصصاً أخرى فيها نزعة تجريبية واعتماد على أسلوب التقطيع والمونتاج السينمائي، وجاءت بلغة متميزة غادر فيها أسلوب كتاباته التقليدية السابقة برأي مجموعة من نقاد الأدب، وقد أصدرت دار صلاح الدين للنشر في القدس هذه القصص في كتاب "الولد الفلسطيني" العام 1977.

التقى الشاعر محمود درويش لأول مرة في بيروت بعد أن تعذر لقاؤه العام 1968 في الجليل: **"ذهبتُ برفقة أصدقاء إلى شفاعمرو للقاء الشاعرين سميح القاسم ودرويش، لكن لسوء الحظ كان مقر صحيفة الاتحاد، حيث يعمل الشاعران، مغلقا، وقفلنا عائدين إلى القدس، وتأجل اللقاء ثماني سنوات لألتقي درويش أول مرة في مكتبه في مجلة شؤون فلسطينية في بيروت، وبعد ذلك في منزلي ببيروت بحضور مجموعة أصدقاء: عدي مدانات وزوجته إيفلين الأطرش وشقيقه عدنان مدانات، عز الدين المناصرة، فهد العبيدي ومصطفى الكرد، ودار حوار طويل تناول موضوعات عدة حول الغناء والالتزام في الأدب وغير ذلك من موضوعات".**

12

لم يمكث النجاب والسرياني سوى أسابيع قليلة في بيروت ثم عادا إلى الأردن، فيما كان عبد الجواد صالح وعربي عواد وجريس قواس يحرصون على الدوام المنتظم في مكتب الجبهة الوطنية لمتابعة شؤون الأرض المحتلة، وكان يتردد عليهم بين فترة وأخرى لكنه قرر العودة للأردن بعد ثمانية أشهر من الإقامة في بيروت: **"تسلمتُ رسالة من زميلي أحمد عقل**

الذي كان يشغل موقعاً بارزاً في وزارة التربية والتعليم الأردنية، يعلمني فيها أن وظيفتي في التربية والتعليم ما زالت سارية المفعول لكن راتبها توقف، وشجعني على العودة لتسلم مهام وظيفتي كمعلم، قررتُ مغادرة بيروت التي حاصرتها صراعاتها الداخلية وتزايد رقعة حربها الأهلية".

أقام في مدينة صويلح غرب عمان بعد أن التحق بوظيفته في جهاز التربية والتعليم، وتم تعيينه معلما بمدرسة في شرق العاصمة لمدة عام، ثم نقل مديرا لعدة مدارس في ضواحي عمان حتى حصل على التقاعد العام1985 ، ولم ينقطع طوال هذه الفترة عن الكتابة الأدبية والنشاط النقابي والحزبي، وقرر الحزب تفريغه للعمل السياسي المتعلق بالقضية الفلسطينية خارج الوطن :**"كتبتُ في البداية بصحيفة الأخبار حتى تم إغلاقها، فانتقلتُ إلى صحيفة الرأي وواصلت كتابة مقالاتي، وأنجزتُ روايتي القمع، وأرسلتها للنشر في بيروت لكن أوقفتُ نشرها بعد تسلمي ملاحظات بأنها مباشرة، وحتى الآن تقبع مسودتها في مكتبي وتحتاج لجهد جديد من أجل تجهيزها للنشر، وكتبتُ منذ العام 1978 حتى 1985 ستة مسلسلات للتلفزيون: عبد الرحمن الكواكبي، حدث في المعمورة، الزيارة، إبراهيم طوقان، دروب لا تلتقي والمسلسل السادس بعنوان بيوت في الريح كتبته للدائرة الثقافية بمنظمة التحرير الفلسطينية، لكنه لم ينفذ تلفزيونيا، وأصدرتُ العام 1986 مجموعة قصص: "طقوس للمرأة الشقية" و"أغنية الحمار" للأطفال وكذلك "الحاجز".**

عقد الحزب الشيوعي الأردني العام 1977 مؤتمرا مصغرا "كونفرنس" في عمان وانتخب عضوا للجنة المركزية برئاسة الأمين العام فائق وراد الذي انتخب للموقع الأول بعد وفاة قائد الحزب فؤاد نصار في العام 1976 ، وفي الأرض الفلسطينية المحتلة أعيد تأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني، الذي انتخب بشير البرغوثي أمينا عاما للحزب في مؤتمره الأول العام 1983 :**"اقترحتْ قيادة الحزب في الوطن الالتحاق برفقة سليمان النجاب والدكتور وليد مصطفى بالحزب الشيوعي الفلسطيني. وافقت على ذلك وبقيتُ عضوا في اللجنة المركزية للحزبين الفلسطيني والأردني لفترة قصيرة، وخلال وجودي في الأردن واصلتُ دوري النقابي نائباً لرئيس رابطة الكتاب الأردنيين وعضواً في الهيئة الإدارية للرابطة طوال عشر سنوات".**

13

سمح جهاز المخابرات في عمان بمغادرته العام 1987 لحضور المؤتمر التوحيدي للاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين الذي انعقد في الجزائر :**"انتخب المؤتمر عشرين عضوا للأمانة العامة برئاسة الشاعر محمود درويش، وحظيتُ بعضوية الأمانة العامة. غادرتُ إلى براغ في تشيكوسلوفاكيا ومكثتُ شهرا في منتجع للراحة قبل أن ألتقي النجاب والأشهب،**

عقدنا اجتماعا لقيادة فرع الحزب في الخارج وتقرر أن يكون الأشهب سكرتيرا للفرع، وانتدبتُ ممثلا للحزب في مجلة قضايا السلم والاشتراكية، وانتخب النجاب ممثلاً للحزب في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير أثناء دورة الاستقلال للمجلس الوطني الفلسطيني الثامن عشر التي انعقدت في الجزائر في الخامس عشر من تشرين الثاني العام 1988".

كانت مجلة "قضايا السلم والاشتراكية" تنطق باسم الأممية الثالثة وتطبع شهريا بأربعين لغة في العالم بينها اللغة العربية: **"كانت تضم سبعين ممثلا للأحزاب الشيوعية في العالم بما فيها الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، وتعرفتُ طوال إقامتي في براغ على نخبة متميزة من مندوبي الأحزاب الشيوعية من مختلف البلدان. كانت تجربة غنية جدا شاركتُ خلالها بمؤتمرات حزبية وأدبية، ومثلتُ رابطة كتاب الأردنيين بمؤتمر اتحاد الكتاب العرب في ليبيا عقب قيام الحكومة الأردنية بإغلاق مقر الرابطة العام 1988، وكنت لا أزال أشغل موقع أمين سر الرابطة آنذاك".**

كتب خلال هذه الفترة مجموعته القصصية الرابعة "صمت النوافذ" وقرأ بشكل جيد في الأدب العربي والعالمي وتعلم القليل من اللغة التشيكية لكنه لم يتقنها لصعوبتها، ثم بدأ المعسكر الاشتراكي بالتصدع، وانهار جدار برلين العام 1989 الذي يفصل بين برلين الشرقية الاشتراكية وبرلين الغربية الرأسمالية، ثم تلاحقت انهيارات الجمهوريات الاشتراكية واحدة تلو الأخرى عقب تفكك جمهوريات الاتحاد السوفياتي: **"طوال العام 1990، سنة الأزمة، لم أتمكن من كتابة أي شيء، كان الوضع متوترا للغاية وبدا كل شيء على حافة الانهيار، لم يطل الأمر كثيرا حتى تسلمت السلطة الجديدة مقاليد الحكم وأزاحت الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي، وأعلنت إدارة المجلة أنها ستغلق في العاجل وعلينا مغادرة المبنى. طلب**

بعض الرفاق العرب اللجوء السياسي في براغ والبقاء هناك للظروف السياسية الخاصة بأقطارهم، لكني آثرتُ العودة إلى الأردن".

أسّس فور عودته إلى عمان وبتوجيه من قيادة الحزب مكتبا للحزب الشيوعي الفلسطيني بترخيص حمل اسم مركز الغد للدراسات في مبنى مستأجر في حي المدينة الرياضية: **"كان نشاط المركز مقتصراً على عقد الندوات الفكرية والثقافية، وكان يستقبل من القدس صحيفة الطليعة الناطقة باسم الحزب ويقوم بتصويرها وتوزيعها على الرفاق والأنصار، فيما تعاقدتُ مع صحيفة الرأي لكتابة مقال أسبوعي حتى العودة للوطن في الثلاثين من نيسان العام 1993".**

14

عقب مؤتمر مدريد الذي عقد أواخر العام 1991 بين حكومات عربية وحكومة إسرائيل من أجل التفاوض للتوصل إلى حل عادل للقضية الفلسطينية، ثم بدء محادثات واشنطن بين وفد فلسطيني وآخر إسرائيلي، وقبيل توقيع إعلان مبادئ أوسلو، وافقت سلطات الاحتلال على عودة مجموعة من المبعدين: **"أثناء المباحثات السرية بين منظمة التحرير وإسرائيل، أصدر رئيس وزراء الاحتلال اسحق رابين أمرا بعودة ثلاثين مبعدا إلى الأراضي المحتلة، غادرتُ عمان برفقة المجموعة الأولى في الثلاثين من نيسان، فيما وصلت المجموعة الثانية في الثاني من أيار، واستقبل العائدين بفرح جمهورٌ حاشد في أريحا. تسلمتُ هويتي المقدسية والتحقتُ بصحيفة الطليعة وكتبتُ زاوية أسبوعية منتظمة تحت عنوان "فسحة من كلام" ثم تسلمتُ رئاسة التحرير من بشير البرغوثي الذي تفرغ كلياً للعمل التنظيمي في الحزب وظل في الوقت نفسه مواظباً على كتابة مقالة أسبوعية متميزة للطليعة، وبقيتُ مرتبطاً بالطليعة حتى العام 2005".**

وافق على اقتراح ياسر عبد ربه وزير الثقافة بتسلم مدير عام الآداب في الوزارة، وأصدر مع مجموعة من زملائه الكُتاب مجلة شهرية باسم "دفاتر ثقافية" وحينما اقترح الوزير على الشاعر محمود درويش استئناف صدور مجلة "الكرمل" التي كان محمود رئيس تحريرها منذ تأسست في بيروت العام 1981، التقاه شقير في عمان للتباحث معه في اقتراح الوزير ياسر عبد ربه. أبدى محمود درويش موافقته على إعادة إصدار المجلة الأدبية في الوطن، غير أنه لم يتحمس لبقائه رئيساً للتحرير وهو خارج الوطن، واقترح أن يتسلم شقير رئاسة التحرير لكنه لم يوافق على ذلك، لأن اسم المجلة ارتبط باسم محمود درويش، وهكذا ظل الاقتراح مؤجلاً إلى أن عاد درويش إلى رام الله، فأعاد إصدار "الكرمل"، وخصص فيها زاوية لما أطلق عليه النقاد فيما بعد: أدب العودة، وذلك تحت عنوان "ذاكرة المكان.. مكان الذاكرة" وقد نشر شقير فيها نصا عن القدس، ثم طوّره ليصدر العام 1998 في كتاب بعنوان "ظل آخر للمدينة".

تكريم في مؤتمر أدب الأطفال – عكا 2008

بعد عودته نشط شقير في الكتابة وأصدر خلال حقبة قصيرة مجموعة غزيرة من إنتاجه الأدبي والمسرحي: كتب نصا مسرحيا بعنوان "ديمقراطي بالعافية" قدمه للجمهور الممثل زهير النوباني وعرضه نحو 44 مرة في الضفة واشتهرت المسرحية في الأوساط الشعبية، فيما أخرج حسام أبو عيشة مسرحيته "أبوك يالخوف" وعرضت مرارا وكذلك "تفاصيل صغيرة" للمخرج الشاب فادي الغول و"كله على الريموت" للمخرج وليد عبد السلام.

شارك العام 1998 في برنامج الكتابة الخاص بجامعة أيوا الأميركية: **"التقيتُ 19 كاتبا وكاتبة من أنحاء العالم وكتبتُ في الولايات المتحدة جزءا من نص نشرته بعنوان "مرور خاطف"، وبعد التجربة اكتشفتُ سر الأدب الساخر فأصدرتُ "صورة شاكيرا" العام 2003 و"ابنة خالتي كوندليزا" العام 2004". شاركتُ أيضا العام 2005 في برنامج أدبي للجامعة المعمدانية في هونغ كونغ الصينية، وتجولتُ على مدار شهر مع سبعة من الكتاب العرب وكاتبين صينيين في المدينة العريقة، كانت تجربة جديدة ومثيرة تبادلنا فيها الفكر وأساليب الكتابة والتجربة الخاصة".**

أصدر العام 2005 "مدن فاتنة وهواء طائش" التي تسرد بمتعة طبيعة الأماكن التي أطل عليها ودقق في عوالمها،

و"احتمالات طفيفة" التي تتوزع على مجموعة واسعة من القصص القصيرة جدا ، وأصدر العام 2007 "مرايا الغياب" التي تحمل نصوصها رثاء للأحباء والرفاق وقد غادروا مبكرا عالمه إلى الأبد : شقيقته أمينة، رفيقاه بشير البرغوثي وسليمان النجاب وزميله مؤنس الرزاز ، واصدر للأطفال "كوكب بعيد لأختي الملكة" العام 2007 و"كلب ابيض ذو بقعة سوداء" العام 2008 والقصة الشعبية الحطاب" 2004 ، وشارك رفيقه الدكتور وليد مصطفى في تأليف كتاب "حضور مكثف في المشهد الفلسطيني" الذي يتناول سيرة سليمان النجاب. جهز ثلاثة كتب للنشر ستصدر قريبا بعد أن عمل عليها طوال العام 2009 :"قالت لنا القدس" و"القدس وحدها هناك" و"أحلام الفتى النحيل" ويصدر في القريب ترجمة عن الانكليزية لكتاب قصصي للفتيات والفتيان باللغة المنغولية. ترجمت بعض أعماله للغات الانجليزية والفرنسية والإسبانية والألمانية والمنغولية والصينية.

كتب ثلاث عشرة حلقة لأحفاده في مجلة "الزيزفونة" وقد نال كل واحد منهم حلقة خاصة به لعله يشجعهم على المغامرة والدخول إلى عالم الكتابة الممتع ، وقال إن ثلاثة من أحفاده على الأقل نشروا قصصا لكنهم لم يكملوا مشوارهم. حاز العام 1991 على جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة التي منحتها له رابطة الكتاب الأردنيين ، وتم تكريمه في ملتقى السرد الذي نظمته رابطة الكتاب الأردنيين العام 2008 ، وكرمته كذلك جامعة فيلادلفيا الأردنية في العام

من اليمين محمود درويش ، ياسر عبد ربه ومحمود شقير

نفسه. وشارك بكتبه التي تتجاوز حتى الآن ثمانية وعشرين كتابا في عدد واسع من المعارض الدولية والعربية.

تسلم العام 1996 أمين سر لجنة جوائز فلسطين برئاسة محمود درويش، وقدمت اللجنة على مدار أربع سنوات جوائز أدبية لمجموعة من المبدعين. تم اعتماده عضوا في لجنة "مسارات" التي كان الشاعر محمود درويش رئيسها الفخري منذ العام 2007، وكانت مهمتها تنحصر في إقامة مهرجان للثقافة الفلسطينية في بلجيكا. وعندما افتتح المهرجان في تشرين أول العام 2008 كان درويش قد غيبه الموت، وشارك شقير في ندوة عن درويش إلى جانب ليلى شهيد، صبحي حديدي، إلياس خوري، فاروق مردم بيك والياس صنبر: **"الجمهور الكبير الذي كان يطغى عليه الحضور الأجنبي كان متعطشا لمعرفة المزيد عن الراحل درويش، وقد استمع لأشعار مسجلة للراحل بصوته وسمع بعض أشعاره المترجمة للغة الفرنسية"**.

والكاتب شقير متزوج منذ العام 1961 من نعيمة عطية الأطرش، وهي من عشيرة الجعافرة من قرية السواحرة الشرقية، وكانت تقيم مع أسرتها في مدينة صويلح الأردنية منذ النكبة الفلسطينية العام 1948، وقد أنجبا الأبناء: خالد (1965) ويعمل مهندسا كهربائيا في القدس، أمين (1967) ويعمل موظفا في شركة كمبيوتر بالقدس، عصام (1968) لم يكمل تعليمه في هندسة الكمبيوتر في موسكو ويعمل الآن في تمديد الكهرباء في القدس، باسمة (1971) حصلت على ماجستير في التنمية وتعمل في لجان الإغاثة الزراعية، أمينة (1974) حصلت على دبلوم سكرتارية من جمعية الشابات المسيحيات في القدس، وتنقلت معه أسرته في رحلته الطويلة حتى عاد جميع أفرادها إلى الوطن واستقرت في جبل المكبر الذي يشرف على بيت المقدس.

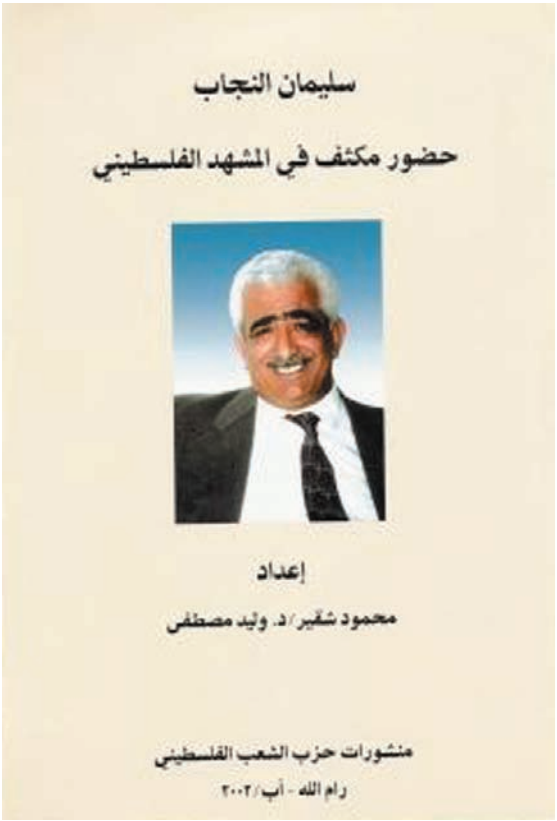

في شهادته المثيرة والممتعة والمحزنة عن القدس والتي نشرت في كتاب "ظل آخر للمدينة" كتب شقير تأملاته وجاء في مقطع صغير: **"...واصلت هبوط الدرجات المؤدية إلى باب العامود، اجتزت البوابة التي ما زالت تحتفظ**

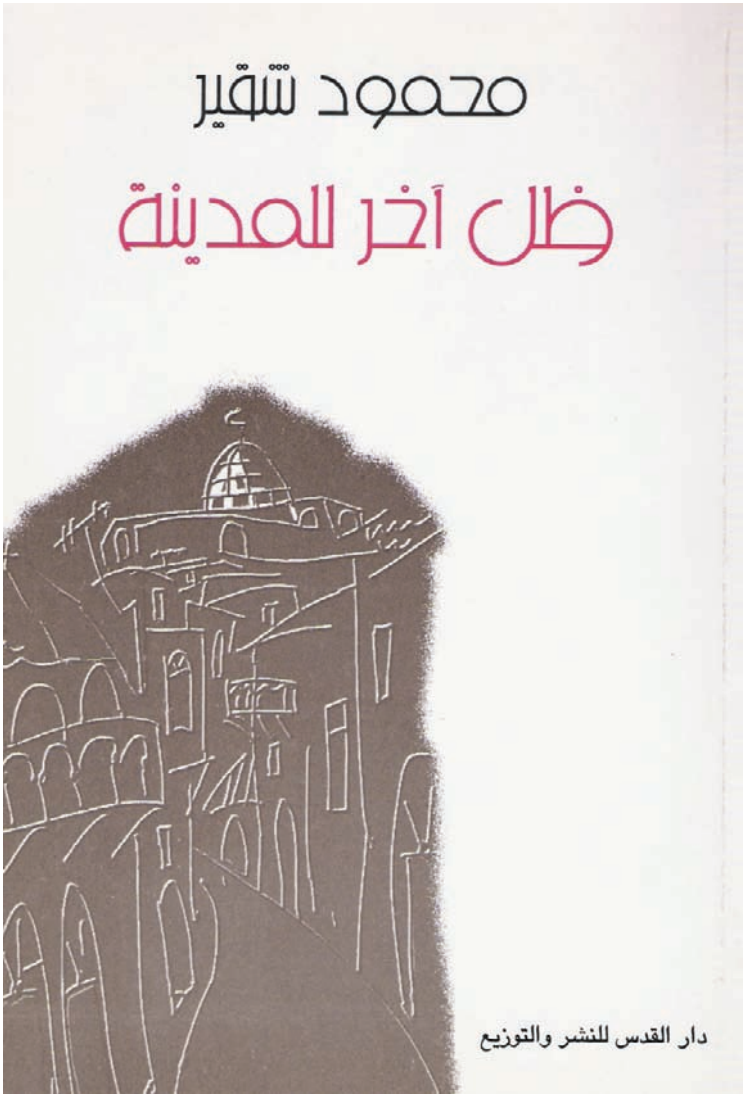

ببهائها ، رغم ما شاب حجارتها من شحوب. وقفت لحظة تحت قوس البوابة، ورحت أستذكر من مروا هنا عبر تاريخ المدينة الطويل.

غزاة كثيرون مروا من هنا ، ثم مضوا ، قادة جيوش ومحاربون، علماء ومفكرون وقادة مجتمع مروا من هنا ، أناس عاديون يبحثون عن الرزق الحلال مروا من هنا ، ماجد أبو شرار، فتحي الشقاقي ، أختي أمينة، جدي لأبي، وجدي لأمي، مروا من هنا . وأنا ، أنا الذي لم أغب عنها إلا مضطراً ، سأسعى جاهداً لكي أواصل المرور من هنا .

مشيت. رحت أبحث عن مكان هادئ، انعطفت يساراً نحو مقهى باب العامود . جلست أتأمل حركة الناس حتى ساعات ما قبل المساء ، كان ثمة حزن يخيم على ما حولي من بشر وأمكنة وظلال. ولم يكن في المقهى أحد سواي" .

مصطفى الكرد: الموسيقى لغة مكثفة للإبداع

في مدرسة تعليم الموسيقى – بيروت سنة 1976

خلال التحضير لعمل مسرحي

1

اشتعل حنينه للقدس عندما كان يعيش بعيدا عنها في برلين مطلع الثمانينات، فحضرت على وقع موسيقاه لحنا جميلا، ولمعت صورا شعرية في أحرف كلماته وحروف أصدقائه الشعراء، وغنى لأحيائها القديمة في محاولة لإطفاء الحنين، لكنه كان يشتعل كلما صعدت إلى الذاكرة طقوس سهرات الأصدقاء حتى الصباح بمقهى أبو بكر عيد في باب العمود بمدخل حي المصرارة. .وقد أشعل النار حنينا بأوتار عوده مستحضرا أحياء البلدة داخل الأسوار ومتعة حياتها القديمة وطقوس سهرات أصدقاء الحارة :

من باب حطة بنظم كلامي
من خان الزيت بعمل أنغامي
من الباشورة نبع الأماني
كل الناس تحيا بأمان
آه يا زمان ما أحلاها عيشة
نبقى جماعة وتدور الشيشة
وعمك ناتان يرشي الشاويش
ونغني أمان أمان
آه يا زمان وين السهر
وين الليالي ع ضو القمر
وين السحلب يا أبو عمر
نشربه صبحية مع الآذان

في القدس القديمة سنة 1958

ولد مصطفى درويش الكرد في العشرين من كانون أول العام 1945 في بيت قديم على طريق الجبشة قرب حارة النصارى بمدخل البلدة العتيقة في القدس، لوالد يعمل في تجارة السكاكر والمكسرات بمشاركة شقيقه من أمه الحاج حافظ الطحان في إدارة شؤون محل تجاري

يمتلكاه في باب الخليل.

تزوجت جدة مصطفى من زوجين الأول من عائلة الطحان والثاني من عائلة الكرد وأنجبت ابنيها حفاظ الطحان ودرويش الكرد، وعاش الشقيقان في كنف والدتهما وزوجها مصطفى الكرد (الجد) منذ طفولتهما. فتحا معا محلا لبيع السكاكر والمكسرات في باب الخليل، وحرصا على بناء بيت مشترك في حي البقعة غربي المدينة وقد انتقلا للسكن فيه قبل التجهيز الكامل لطابقه العلوي لكن النكبة الكبرى العام 1948 أطاحت بأحلامهما في الاستقرار بمنزل جميل ودفعت الشقيقان مع آلاف العائلات للرحيل القسري والشتات. استقرت العائلتان حتى مطلع الخمسينات في أريحا ثم عادت أدراجهما إلى البلدة القديمة في القدس عقب شفاء الأخ الأكبر حافظ من إصابته التي تعرض لها أثناء المواجهات المسلحة في معركة "النوتردام" الشهيرة التي شهدت اشتباكات واسعة لوقف تقدم العدوان الإسرائيلي باتجاه أسوار القدس.

2

على اليمين مع صديقه وجاره محمد الكسواني سنة 1958

استعادت ذاكرة الطفل مصطفى بوضوح عودة أفراد عائلته من أريحا إلى القدس العام 1951 لكن الصور في ذاكرته عن بيته في البقعة ومنزل اللجوء في أريحا كانت من رماد وخيال: **"لا أذكرُ بيتنا الجديد في البقعة ولا أذكرُ بوضوح خروجنا منه أثناء الحرب باتجاه الشرق، لكن أستعيدُ صورا من خيال في أريحا لدرج خشبي خارجي معلق وساحة واسعة أمام بيت من طين"**.

عاد والده ووالدته وأفراد العائلة إلى البيت القديم داخل أسوار القدس، لكن المنزل الصغير لم يعد قادرا على تحمل أسرة كبيرة ومجموعة من الفتيان والفتيات شبوا سريعا خلال سنوات قليلة، فانتقل مصطفى مع والده ووالدته وشقيقته وصال إلى بيت للعائلة في حارة السعدية: **" قضيتُ طفولتي**

في حوش البسطامي الواسع حيث تسكن فيه عائلات المصري، الوعري، الأفغاني، جودة والصحصاح، وتميزت الحارة بدرج حجري شكل مكاناً لألعابنا، كنتُ أرتبُ عليه أقراني من أطفال الحارة وكأنهم يجلسون في مسرح ثم أغني لهم" .

ورث صوت والده الذي كان يتلو القرآن بتجويد جميل بعد صلاة كل فجر: **"كنتُ أسمعُ صوته الجميل كأني في حلم، وكنتُ أتشرب هذا الصوت العذب عند كل فجر، وحتى اليوم لا زال صدى صوته يحلق في سماء خيالي"** .

عمل والده بعد النكبة في منجرة وكان قد أتم تعليمه المهني في مدرسة شنلر الصناعية في القدس، وبعد ضياع تجارته وتبدد أمواله اثر النكبة وبيع محله التجاري، لجأ لمهنته في النجارة حيث يعمل طوال النهار، لكنه كان يقضي أمسياته في بيت الشيخ محمد المصري في حارة السعدية وبرفقة أصدقائه لترديد حلقات الذكر الصوفية وجلسات يتخللها الأناشيد والغناء الصوفي والمدائح الدينية بطمأنينة وراحة بال، ويلتقي كثيرا مع مجموعة أخرى من أصدقائه ومنهم يوسف النجار، إسماعيل النجار وأبو فهمي القطب وآخرين لغناء الموشحات ونقاش الجملة الموسيقية عند السيد صفطي، السيد درويش، عبد حامولي ومحمد عبد الوهاب وطريقة كل منهم في الغناء.

حرصت مجموعة الأصدقاء على سماع قراءة القرآن الكريم طوال شهر رمضان، بترتيل من مقرئي مصر الذين يأتون تباعا لقضاء شهر رمضان الفضيل في رحاب المسجد الأقصى: الشيخ مصطفى إسماعيل، الشيخ قبارة، الشيخ المنشاوي، الشيخ عبد الباسط عبد الصمد. كانوا يقيمون في الفندق الوطني، ويتناولون وجبات إفطارهم عند وجهاء المدينة، فيما كان والده حريصا على اصطحاب نجله مصطفى للاستماع إلى فن تجويد القرآن الكريم في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وأسلوب الغناء الصوفي في بيت أصدقائه.

لم يورث مصطفى صوت والده فقط بل أخذ كثيرا من نبرات والدته انتصار الشوا: **" مع أنها تجاوزت الثمانينات من عمرها المديد إلا أنها لا زالت تمتلك صوتاً جميلا يفيض بإحساس غريب وحنان عجيب يبدع في مزج طاقة صوتها بمأساتها الشخصية حيث فقدت زوجها قبل أن تجتاز عتبة الثلاثين من عمرها، وحتى الآن تجود بغناء جميل تحمل مفرداته الجمال والغزل والحزن"** .

3

في السادسة من عمره اصطحبه والده إلى مدرسة العمرية، قبّل الأب يد أستاذه وديع حبش وقدم له نجله، وبات مصطفى يُقبّل يد أستاذه ومعلم والده كلما شاهده في أسواق المدينة حتى عقب مغادرته المدرسة شابا يافعا: **" مدير المدرسة محمد القيمري وله فضله على والدي وتجاه الكثير من الطلبة، وهناك مجموعة من المعلمين أبرزهم الشيخ كمال الركن، من**

خلف المكتب التابع للمحددة في نابلس العام 1963

سكان باب حطة، وكان يحوز على تقدير والدي ويقبل يده كلما التقى به، وقد علمني الشيخ الركن المواد الأساسية وخاصة اللغة العربية والدين، ولفت انتباهي بشكل خاص إلى أحكام تجويد القرآن الكريم، وكنت أحاول جهدي لتنغيم القرآن في حصته، وكان يوضح لي قواعد الإضغام والإقلام والقلقلة، وهناك أيضا المعلم العسلي الذي أعطاني جانبا من الاهتمام، لكن لم يهتم المدرسون كثيرا بتنمية مواهبنا الطلابية، ومع ذلك انتبهوا لصوتي الغنائي فكانوا يطلبون الغناء أثناء الرحلات المدرسية. كنت أجلس خلف مقعد السائق وأترك لصوتي العنان من غناء وتجويد في جو من فرح زملائي وتقدير أساتذتي".

لم يكمل مصطفى تعليمه المدرسي واضطر لمغادرة المدرسة للعمل عقب وفاة والده العام 1958 ، رحل والده قبل أن يتجاوز الأربعين من عمره. أصيب بمرض الالتهاب الرئوي "الأزمة" مبكرا بعد أن استنشق مواد كيماوية من مخلفات جيش الاحتلال البريطاني أثناء عمله في منطقة البحر الميت بعد النكبة، وظل يراجع المستشفيات بصورة منتظمة لكن المرض تمكن للأسف من هزيمته. تولت أرملة الراحل شؤون الأسرة وكافحت من أجل صغارها الخمسة وقد كان مصطفى أكبرهم وله ثلاث شقيقات: وصال، خولة وأروى وعلي الأخ الصغير، وأثبتت قوة إرادتها بالدفاع عن أطفالها ورفضها

الرضوخ للأقوياء من أفراد الأسرة وتسليم الأبناء والاعتناء بحياتها الشخصية.

سعى يوسف النجار صديق والده الراحل لدى صديقه يعقوب كمال، أحد أبرز أصحاب الحدادة في القدس، لتعلم مهنة الحدادة لديه. يعقوب كمال خريج مدرسة شنلر للصناعة من أشهر المهنيين بمجاله في المنطقة: **"تعلمتُ المهنة جيدا وأتقنتها، لكن كنتُ معروفا بين الحدادين باسم الفنان، وكنتُ أغني باستمرار أثناء عملي في الحدادة، وصاحب العمل الذي لا يعجبه غنائي أغادر محددته بلا رجعة. اشتريتُ في تلك الفترة اوكورديون ثم كلارنيت، وكان علي الزعانين وحسني وهما من معارفي يعزفان ترمبت، الكلارنيت والساكسفون بفرقة موسيقى الجيش الأردني، تعرفتُ جيدا من خلالهما على الموسيقى. أخذتُ بالتدرب على كل آلة موسيقية بانفراد وذلك كلما سنحت الفرصة بعودة الزميلين علي وحسني من الوظيفة في إجازات خاطفة"**.

4

اخذ قرارا قبل أن يكمل السادسة عشرة، رغم معارضة والدته، بمغادرة عمله في القدس والتوجه إلى مدينة نابلس للعمل فيها، وساعده نزول والدته عند رغبته، وجود خالته "أم علي" المقيمة في المدينة والمتزوجة من عائلة الأسطة: **"سكنتُ**

رحلة مع الأصدقاء في وادي الباذان شرق نابلس سنة 1964

بحارة العقبة في البلدة القديمة بغرفة تطل نافتها على شباك للجيران، وكنتُ بحالة من الهيام والغرام والانفتاح على جماليات جديدة في المدينة، وفي المساء أطلق صوتي الغنائي، سمعني جاري حسن داود حسنين "أبو علي"، فطلب من زوجته لسؤال خالتي عن الصوت الذي يصدح كل مساء في بيتها، وعندما علم بأمري طلب مني زيارته وواظبتُ على قضاء معظم الأمسيات في بيته".

اكتشف مصطفى أن "أبوعلي" عازف عود جيد ويحمل أفكارا يسارية شيوعية، وأقام سنوات طويلة كلاجئ سياسي في سوريا: **"التجربة مع أبوعلي كانت مثيرة، بدءا بالانفتاح على الموسيقى مرورا بالفلسفة والمفاهيم الفكرية، وليس انتهاء بالانتقاص من الخلفية والرؤية الصوفية التي صاحبت سلوكي المحافظ والمتدين. ساعدني على التدقيق الجيد بتفاصيل الأحداث التاريخية التي شهدتها البلاد. لم يطرح أبو علي القضايا التي تشغله بشكل مباشر، بل وفر لي مكتبة أخرى مختلفة عن صنف ونوع الكتب التي تأثرتُ بها ومتوفرة في مكتبة بيت عمي الحاج حافظ. لم تكن العلاقة قائمة معه على التثقيف الأيديولوجي، بل لم يعرف حجم وطبيعة وأثر القضايا التي اكتسبتها منه، واعترفُ بحق أنها تجربة أخرى تركت بصمة في مجرى حياتي الفلسفية ورؤيتي للعلاقة بنوع الموسيقى والغناء الذي يتلمس أوجاع الناس".**

رفض "أبو علي" بداية تعليمه العزف على العود بذريعة أن الموسيقى قد تخطفه من كل شيء وبخاصة أنه يعيل أسرة

أثناء عزف العود مع مجموعة فنانين مقدسيين سنة 1967

كبيرة. ظل مصطفى يصر على التعلم حتى جاءت الفرصة: **"اشترى أحد شبان نابلس ويدعى الشاويش عودا بائسا من الشام بعشرة دنانير، دفعتُ له نصف المبلغ وأصبحنا شركاء في الآلة الموسيقية، وأخذتُ بالتدرب المتواصل عليها، وكلما احتاجت لضبط الأوتار والدوزان كنتُ أرسلها لأبي علي مع شريكي الشاويش. كان يتدرب عنده على الكمنجة مساء كل يوم جمعة بائع حلويات يدعى أبو أميرة. كنتُ أجلس في حلقة التدريب وأطبع المعلومات والمصطلحات في رأسي، رغم الاختلاف الموسيقي بين آلتي العود والكمان. أحد الأيام خرج أبوعلي من غرفته وكنا شلة أصدقاء في بيته، فتناولتُ على الفور عوده الخاص الذي يختلف عن عودي بالمستوى الرفيع للأوتار والصوت، وأخذتُ بالعزف وكانت المفاجئة، سمع رنات العود تنبعث من الغرفة وتكشف له معرفتي بالعزف، واستسلم للإجابة على أسئلتي بشأن موسيقى العود، بل أخذ يقدم لي المعلومة السليمة ويعلمني، وأصبحتُ أعزفُ على العود بشكل أفضل، ثم استسلم لمشاركتي بأمسياته الموسيقية عند الأصدقاء"**.

عاش في نابلس ثلاث سنوات تقريبا انتظم خلالها بزيارة والدته وشقيقاته مرة كل أسبوع.غادر بيت خالته بعد فترة قصيرة واستأجر بيتا برفقة أحد أصدقائه في حي القصبة وعاش حياة مهنية غير مستقرة في النهار فيما حجزت الأمسيات عالمه الموسيقي والفني والثقافي وحلقت به بعيدا عن مهنته، ونجح أيضا بنسج شبكة من الصداقات الاجتماعية الواسعة، وأحب المدينة وعالمها وناسها، وتعرف في تلك الفترة على الكاتب والشاعر المرموق عبد اللطيف عقل، أستاذ الفلسفة في كلية النجاح الوطنية، واكتشف أيضا تقدير ومحبة الأصدقاء المتبادل: **"بدأتُ أشارك أبو علي أمسياته وحفلاته الموسيقية، وكنتُ أغني لعبد الوهاب وعبد الحليم حافظ وكارم محمود ومحمد رشدي وغيرهم، ولم نشارك على الإطلاق في إحياء الأمسيات كمأجورين مقابل المال، بل كضيوف لهم مكانتهم الخاصة وميزتهم في التعامل، وكنتُ أواصل حياتي الموسيقية بصورة اعتيادية، لكن حرب حزيران العام 1967 أجبرتني على العودة إلى القدس"**.

5

حاول التطوع مع زملائه عندما بدأت حرب العام 1967 وتوجه صباح الخامس من حزيران برفقتهم إلى معسكر حوارة على مسافة قدرها خمسة كيلو مترات جنوبي المدينة: **"رفضنا قادة المعسكر وطالبونا الانخراط بصفوف لجان الدفاع المدني. رجعتُ على البيت جمعتُ أغراضي في حقيبة وانطلقتُ قبل الظهر نحو القدس، برفقة مجموعة من الركاب بسيارة عمومية يقودها السائق الصيرفي. سمع الركاب قرب مخيم الجلزون أخبار سقوط جبل المكبر، أوقف السائق المحرك وقال أنه لا يستطيع متابعة رحلته وطلب من الركاب مغادرة سيارته. قطعنا المسافة على الأقدام من الجلزون مرورا**

خلال أمسية ثقافية لنادي القدس الرياضي سنة 1968

بمدينة البيرة، كنتُ أرتدي بذلة وأحملُ حقيبتي وعودي، عثرتُ على سيارة متجهة إلى القدس لكنها لم تتمكن من تجاوز بيت حنينا . كانت النقطة العسكرية الإسرائيلية في الجامعة العبرية على التلة الفرنسية تقطع الطريق على المارة، وتحت الخطر عبرنا الطريق باتجاه مستشفى العيون وحي الشيخ جراح ثم دار الطفل وشارع المأمونية، وصلتُ باب البريد عند الخامسة مساء ولم يتبق سوى ستين مترا باتجاه باب الساهرة لاجتياز أسوار البلدة القديمة. المسافة القصيرة مكشوفة لقوات الاحتلال المتمركزة في منطقتي النوتردام والجامعة العبرية، غامرتُ وركضتُ باتجاه الباب وعبرته بمساعدة مجموعة من حراسه الذين فتحوا الباب واسعا . شاهدتُ مجموعة من الجيش الأردني في ساحة ملعب النظامية، كانت قيادة الجيش في المدرسة القادسية برفقة مجموعة من الوجهاء والنواب، وحاولتُ البحث عن دور طوعي. طَلَبَت قيادة الجيش من مجموعة شبان نقل صناديق ذخائر من مركز شرطة القشلة في باب الخليل إلى ملعب النظامية، لكنها لم تسعف الجيش الأردني بصمود مقاومة جنوده. سقطت البلدة القديمة بقبضة المحتل وتجددت مسيرة العذاب لأبناء شعبنا ، وأحضرتْ قوات الجيش حافلات للراغبين بالهجرة ومغادرة المدينة، تمسك سكان حارة السعدية وحوش البسطامي، كما الآخرين في القدس، بالبقاء في بيوتهم رغم الاحتلال واستمرار حظر التجول" .

6

بدأت البلدة تفتح بالتدريج بعد رفع حظر التجول المفروض على المواطنين، وأعاد مصطفى علاقته مع المهتمين بالموسيقى: **"بدأتُ التقي مع عازفي الكمنجة أبو روحي عبيدو وداود أبو خاطر وعثمان الأفغاني وموسقيين آخرين، ثم التقيتُ لاحقا مع أبو حسن زمرد أمين سر نقابة الحدادة والطراشة، وعرض تنظيم نشاطات في مقر النقابة الواقع بشارع الزهرة. التقيتُ اللجنة الثقافية وبدأنا العمل الغناء في محاولة لاستقطاب الشبان المقدسيين من نادي بيت داوود الذي أسسته بلدية القدس. توسع نشاط النقابة على المستوى الرياضي والدبكة الشعبية والغناء التراثي، ونظمت النقابة احتفالات في شهر تشرين أول العام 1967 بمشاركة فرقة للدبكة جمعت في صفوفها رياضي النقابة ومنهم ماجد أبو خالد، زكي درويش، خالد خلف، عدنان العويوي، أيوب حجازي وآخرين وباتت النقابة عنوانا وطنيا بارزا"**.

واصلت النقابة نشاطاتها وأبدت اهتماما بالمسرح ونجحت في تنظيم عرض مسرحي بعنوان "هزيمة الشيطان" أواخر العام 1967 يروي محاكمة الأموات للشيطان وتحميله وزر خطاياهم في محاولة لتبرئة سلوكهم: **"لعبتُ دور أحد الأموات تجتاحني رغبة بمحاسبته باعتباره المسؤول عن مصائبي التي ارتكبتها في حياتي. مثل دور الشيطان في المسرحية أيوب حجازي، وبرزت شواهد القبور على الخشبة باعتبارها الديكور الأساسي للمسرحية التي أخرجتها بمشاركة زميلي زكريا شاهين، ومدتها نحو تسعين دقيقة وعرضتْ مرارا في أماكن كثيرة"**.

عرضت مسرحية "الطريد" العام 1968 وتروي حكاية شاب يجنح بعيدا عن سلوك مجتمعه، وبات يعيش حياة الرذيلة والضياع نتيجة الظروف المستجدة بعد الاحتلال، إلا أن القيم الأساسية المتأصلة به انتصرت في النهاية وأعادته إلى رشده: **"لعبتُ دور المحامي الذي يدافع عن سلوك المجرم وأرجعت سلوكه السلبي إلى الأسباب الموضوعية التي يعيشها المجتمع وساهمت في خلق الضحايا. تزامنت مع المسرحية شهرة أغاني الأمل، الأرض والسكة، وتواصل النشاط الثقافي والغنائي والمسرحي والرياضي في النقابة حتى أواخر العام 1969 حيث شهدت حالة من الخلاف والانقسام"**.

غادر مع مجموعة من زملائه النشيطين نقابة الحدادة والطراشة والتحق الجميع في نادي القدس الرياضي وأشرف على تأسيسه :محمد أبو صوي، نادي خوري، سامي الكرد، يعقوب الأنصاري ومجموعة أخرى رياضية بارزة. واصلت المجموعة نشاطاتها في عرض مسرحية الطريد وتنظيم حفلات الدبكة والغناء على مدار سنة كاملة ثم غادروا النادي الرياضي: **"تابعتُ مع زكريا النشاطات الفنية في الطابق الثاني لمطعم ميرامار الذي استأجره مقابل المحكمة، وبعد سبعة أشهر قررنا الانتقال للانطلاق بمؤسسة فنية ثقافية، استأجرنا أربع غرف بعمارة هندية في باب العمود، وفتحنا العام 1970 معهد القدس للفنون والمسرح. اشترينا التجهيزات اللازمة وتعاقدنا مع أساتذة للموسيقى: عبد اللطيف**

الأشهب، عبد الحميد عيدو"أبو روحي" ، فرانسوا نيكوديم وسميح شيلكو مراد ، وكانت أسماء لامعة" .

واصل معهد القدس للفنون نشاطه على مدار عام ونصف لكنه لم يتمكن من متابعة مهمته لقلة الإمكانيات المتوفرة، التحق زكريا بوظيفة في جريدة الشعب التي كان يملكها محمود يعيش ويرأس تحريرها الأستاذ محمود الخطيب، فيما تابع مصطفى مهمته في إقامة الأمسيات الغنائية ، وبدأ يغني للعمال ويعيد توظيف بعض الألحان الفلكلورية لتنسجم مع الأغنيات الشعبية التي بات لها جمهورها ، وتزايد الاهتمام من أجل خلق رؤية للغناء المقاوم وتبلوره في إطار مؤسسي جماعي : **"أقام في القدس قادما من شفاعمرو الشاب الياس نصرالله، طالب في الجامعة العبرية ومن أنصار الحزب الشيوعي الإسرائيلي، اشتغل مترجما للغة العبرية في صحيفة الشعب، ثم فتح مع رفيقيه داود خوري من الرامة في الجليل وتوفيق أبو رحمة من شفاعمرو، مكتب صلاح الدين للنشر. بذل الشبان الثلاثة جهودهم لتوحيد الحركة الثقافية، وعرض نصرالله العام 1972 لقاء مجموعة بلالين المسرحية التي أسسها فرانسوا أبو سالم، سامح عبوشي، اميل عشراوي، هاني أبو شنب وماجد الماني. واستجابة لفكرته شاركتُ بنشاطات الفرقة التي تحظى باهتمام مجموعة من مثقفي اليسار الذين يمتلكون خبرة وتجربة، ونجحتْ الفرقة في تنظيم مهرجان متميز العام 1973 . شاركتُ بأول عمل لي مع فرقة بلالين بعنوان "يونس الأعرج" وغنيتُ "بيت سكاريا" من كلمات عمر يوسف وأيضا قصيدة "الجلاد" للشهيد كمال ناصر، وقدم النشاط الثقافي لاحقا كعمل استعراضي راقص**

مشهد من مسرحية « هزيمة الشيطان » سنة 1968

بمشاركة هاني أبو شنب وماجد الماني. وتضمن "يونس الأعرج" أيضا نصوصا شعرية للشاعر التركي التقدمي ناظم حكمت".

قدم مسرحية "تع تخرفك يا صاحبي" للمخرج وليد عبد السلام العائد في إجازة صيف من جامعات مصر، ثم "ترابيتك عمي" بمشاركة الممثل جبر الزبيدي، وقدم مع فرانسوا أبو سالم مسرحية "القاعدة والاستثناء" للمسرحي الألماني بريخت: **"وقدمتُ في تلك الفترة مجموعة أغاني من كلمات الشاعر خليل توما، وتواصلتْ نشاطاتي مع فرقة بلالين حتى انقسامها العام 1974 بين جناحي بَلالين وبِلا لين. لكن واصلتُ عروضي الغنائية في الجليل والمثلث بتنسيق مع مكتب صلاح الدين للنشر والحزب الشيوعي".**

شارك العام 1975 مع فرانسوا أبو سالم، عادل الترتير وأنيس البرغوثي في أول تجربة للمسرح المحترف بتشكيل "صندوق العجب" وعرضت الفرقة بأكورة أعمالها "لما انجنينا" ولعب فيها مصطفى دور أبو الجنازير فيما لعب الترتير دور عنتر: **"لعبتُ دور الجنرال المصاب بجنون العظمة والراغب بأن تستجيب البلاد له بقرع طبول الحرب، فيما لعب زميلي الترتير دور المستكين الذي يدعو بتجنب شر القتال لأن البلاد في ظرف بائس تحت الاحتلال. اشتغلنا على العمل المميز فترة طويلة، وعرض ثلاث ليال متتالية في مدرسة الفرير بالقدس، وليلة العرض الأخيرة تعرضتُ للاعتقال والضرب ومكثتُ عدة أيام في التحقيق بسجن المسكوبية قبل الإفراج عني لعدم ثبوت التهمة".**

في مشهد من مسرحية « لمّا انجنّينا » ويظهر في اليسار

أعاد الاحتلال اعتقاله في شباط العام 1976 بذريعة توفر اعترافات لدى أجهزة الأمن الإسرائيلية حول نشاطه الوطني وعلاقته بفصائل المقاومة: **"تعرضتُ للتحقيق المتواصل لثمانية وعشرين يوما دون انتزاع أي اعتراف بالإدانة، وصدر بحقي قرار بالاعتقال الإداري مدة ستة أشهر قابلة للتجديد. واصل المحامون: محمد كيوان، فليتسيا لانغر، لينا تسيمل، وليد الفاهوم وعلي رافع الدفاع عني. تقرر إبعادي عن الوطن، وغادرتُ إلى عمان في التاسع والعشرين من كانون أول العام 1976 ثم تابعتُ إلى بيروت وقد سبقني للعاصمة اللبنانية اسطواتي الأولى التي أصدرها مكتب صلاح الدين العام 1974"**.

7

تعرف في بيروت على مجموعة كبيرة من المثقفين والفنانين اللبنانيين والعرب، أبرزهم الموسيقار زياد الرحباني والسينمائي جان شمعون والمسرحي روجيه عساف: **"عملتُ مع عساف بتحضير مسرحية عرضها بعدة مناطق في لبنان، وأبدى**

خلال تدريباته الفنية في مدرسة تعليم الموسيقى – بيروت سنة 1976

اهتماما للاستماع عبر جلسات طويلة حول تجارب المسرح في فلسطين وبخاصة تجربة بلالين وفكرة تميزها بالإخراج الجماعي".

غنى لجمهور المخيمات الفلسطينية، وأنتج اسطوانته "نوح إبراهيم" نسبة لشاعر ثورة 36، وتضمنت الاسطوانة الجديدة أغان من كلمات محمود درويش، توفيق زياد، خليل توما وسميح القاسم، ودفع تكاليف إنتاجها ماجد أبو شرار مسؤول دائرة الإعلام لحركة "فتح". أقام مدرسة لتعليم الموسيقى لأبناء جميع الفصائل دون تمييز، وتعرف على مارسيل خليفة في مهرجان برلين الشرقية العام 1977.

تعرف على زوجته الأكاديمية الألمانية هيلغا التي ربطتها علاقة متينة بالحركة الطلابية اليسارية عندما اندلعت شرارة ثورتها العام 1968 في العواصم الأوربية. وصلت الطالبة الألمانية لبنان لأول مرة العام 1973 لإجراء دراسة أكاديمية حول القضية الفلسطينية، ثم عادت العام 1975 لمتابعة أبحاثها الأكاديمية لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية، وعملت في الجامعة الأميركية في بيروت كمحاضرة للدراسات الثقافية. عندما وقع مخيم تل الزعتر تحت حصار قوات الكتائب اللبنانية العام 1976 تطوعت مع جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني لمساعدة المحاصرين: **"تزوجتُ هيلغا بوكالة شيخ الحكمة الذي أصبح وكيلها وبشهادة اثنين من رفاقي: الدكتور عبد الرحمن برقاوي والسينمائي مصطفى أبو علي،**

خلال أمسية غنائية موسيقية

وأقمنا احتفالا بسيطا في أحد مقاهي بيروت، ثم حصلتُ على وثيقة الزواج وترجمتها للغة الألمانية استعدادا لمغادرة لبنان".

عاش في بيروت أثناء اشتداد الحرب الأهلية واتساع رقعة الانقسام بين الفصائل الفلسطينية عقب دخول القوات السورية للأراضي اللبنانية وتدخلها لصالح الجبهة اليمنية الانعزالية: "كانت تجربة قاسية تحطمت فيها الطهارة المتخيلة في ذاكرتي عن المقاومة، وشهدتُ التصفيات الداخلية وتصادم القوى المسلحة الفلسطينية. كان أصدقائي من المقربين للجبهة الشعبية– القيادة العامة بزعامة أحمد جبريل وراقبتُ بحزن صدامه مع الطرف الذي غادر صفوف الجبهة بزعامة طلعت يعقوب وأبو العباس. عندما انفجرت بناية الفاكهاني في بيروت الغربية استشهد العشرات من الأبرياء ومنهم أبو ريا رفيق صديقي عازف العود أبوعلي الذي عاد إلى نابلس، فيما ظل أبو ريا لاجئا سياسيا في الشام، وتزوج في سورية، وعمل في صناعة الأحذية، إلى أن أقنعه رفاقه بالسفر إلى بيروت والعمل فيها. عندما ذهبتُ إلى دمشق برفقة زميلي الكاتب رشاد أبو شاور، تعرفتُ عليه لأول مرة في محله المتواضع، تناول على الفور حذاء جديدا وقدمه هدية، وعلمتُ أنها عادته المنتظمة مع المناضلين يقدم لهم الأحذية دون مقابل. كان يطل من وجهه نور الصدق، وخسرته كصديق عزيز فيما خسر هو كل أفراد أسرته في الانفجار القاتل، ولم يتبق من عائلته الكبيرة سوى ابنته الصغيرة فيروز التي لم تتجاوز الثالثة عشرة، وكانت تزور جدتها في الشام حين وقع الانفجار. بات الأمر معقدا وقاسيا في لبنان وشعرتُ أن دوري الموسيقي بلا جدوى ولا بد من الرحيل".

8

غادر بيروت بعد عامين ونصف على إقامته برفقة زوجته عبر الطريق البري في سيارة صغيرة اشتراها من ألمانيا العام 1977: **"غادرتُ صباحا قاصدا ألمانيا وتركنا البيت بعهدة الدكتور البرقاوي، وقطعنا سبعة أيام في الطريق البري عبر تركيا، بلغاريا، يوغسلافيا والنمسا وتابعنا على ألمانيا حتى وصلنا حرم جامعة غوتنغن وانتظرت هيلغا فترة من الوقت لاستكمال كتابة رسالتها وتقديمها للمناقشة في الجامعة. أقمنا في بيت للطلاب لمدة شهر، وخلاله نجحت في تنظيم أسبوع للثقافة الفلسطينية من محاضرات وأفلام وموسيقى وغناء. وفوجئت أن هذا النشاط لم يعجب المؤسسة الرسمية الفلسطينية، وحاول بعضهم توصيل رسالة أن النشاطات التي تخص فلسطين لا تتم إلا من خلالهم. لم أستجب لهذه النزعة وواصلتُ نشاطي الفني بطريقتي الخاصة، وتوسعت علاقتي بأوساط الغناء اليساري العالمي وتعرفت على مغنين من أميركا اللاتينية وإيران وإفريقيا، وأدركت أبعاد قضيتي وامتدادها مع حركات التحرر الأممية".**

بات يسعى لتطوير أدائه الموسيقى وتطوير إمكاناته في عالم مزدحم بألوان الموسيقى والأصوات المختلفة: **"درستُ**

يعزف على أوتار العود خلال أمسية غنائية

الموسيقى الغربية، واشتريتُ بيانو وبدأتُ التعلم عند أستاذ متخصص وأحضرُ نفسي لامتحان جامعي، لكن سفري الدائم حال دون تمكني من متابعة دروسي، لكني بدأت التعرف على عالم جديد في الموسيقى يختلف عما كنت أعرفه. قضيتُ سنة كاملة في غوتنغن تعلمت فيها اللغة الألمانية والموسيقى الغربية ثم نقلنا إلى برلين للاستقرار فيها".

تابع شغفه بمتابعة دراسة الموسيقى في برلين، وتواصل مع كلية العلوم الموسيقية في جامعة برلين الحرة: **"فشلتُ في التسجيل رسميا في الكلية لعدم وجود شهادة الثانوية العامة. تعاطف البروفيسور كوكرز عميد كلية العلوم الموسيقية مع خصوصية تجربتي عندما قدمتُ له أعمالي الموسيقية, وافق على متابعتي للمحاضرات بشكل زائر مشارك ودون الحصول على شهادة أكاديمية. تعرفتُ في الكلية على تاريخ الموسيقى العربية والنهضة الموسيقية التي شهدتها الفترة العباسية. قضيتُ في الكلية عامين وحصلت على وثائق تفيد بدراستي لمواد متخصصة في الموسيقى".**

قضي في برلين خمسة أعوام، وفرح فيها مع زوجته هيلغا بقدوم نجله الوحيد درويش العام 1981. أنتج أثناء إقامته في ألمانيا ثلاث اسطوانات موسيقية غنائية، شارك فيها مع مجموعة من الشعراء بصياغة كلماتها. وغنى وعزف بمجموعة واسعة من العروض الموسيقية ومهرجانات أقيمت في أوروبا والولايات المتحدة وكندا. عاد إلى القدس العام 1983 واستقر نهائيا في مسقط رأسه وزهرة مدنه بعد تسلم الجنسية الألمانية: **"تابعتُ المحامية الإسرائيلية لينا تسيمل**

مشهد من أمسياته الثقافية في القدس القديمة مطلع التسعينات

ملفي الشخصي، وانتزعت قرارا من المحكمة يقضي بعودتي لانتهاء فترة إبعادي. غنيتُ في الأمسية الأولى لافتتاح مسرح الحكواتي العام 1984. عرضت المؤسسة فيما بعد تأسيس قسم للموسيقى في مبنى المسرح، قدمتُ مشروعي لرئيس مجلس الأمناء فيصل الحسيني قبل تسلم أنيس القاق المنصب، وتابعتُ شؤون تمويله مع الدكتور خليل نخلة مدير مكتب مؤسسة التعاون في جنيف، ومنذ ذلك الوقت حتى الآن أشرف على إدارة القسم الموسيقي الذي ظل في المبنى لكنه بات مستقلا عن إدارة الحكواتي منذ العام 1991 عقب خلافات إدارية بين الشركاء ليصبح مركز القدس للموسيقى العربية".

شارك بتأسيس قسم الموسيقى في الإذاعة الفلسطينية عقب تأسيسها العام 1994 في أريحا **:"قبيل تأسيس الإذاعة نظم حزب الخضر الألماني اليساري بمتابعة زوجتي هيلغا، دورات لمجموعة من صحافيي الأرض المحتلة، ووفرت أجهزة تقنية وفنية للتدريب، وشاركتُ بتقديم تدريب يتناول إعداد البرامج الموسيقية. عند تأسيس الإذاعة ساعدت الأجهزة المتوفرة والتدريب المتواضع على انطلاقة صوتها، وتسلمت فيها مديرا لدائرة الموسيقى ووفرت لها من أرشيف مركز القدس معظم أشرطة الموسيقى التي كانت تبثها الإذاعة. في البداية كان العمل بروح الفريق الواحد والبرامج بمستوى**

جيد ، ثم دبت التكتلات ومحاولات الإقصاء والتهميش ووجدتُ نفسي عالقا في خلافات متشعبة ، قررتُ المغادرة دون استقالة" .

9

ولد وحيده درويش في برلين العام 1981 تعلم حتى الصف التاسع في مدرسة المطران في القدس ، ثم تابع الثانوية بمدرسة الانجليكان في القدس الغربية . أنهى البكالوريوس متخصصا في الموسيقى وهندسة الصوت في جامعة مانشيستر البريطانية ، ويتابع تعليمه لنيل الماجستير في حقل الإنتاج الموسيقي . ملحن وعازف "جيتار" ويهتم بالغناء الغربي وعاش سنوات عديدة في لندن ، وأنتج ثلاث اسطوانات في الموسيقى الغربية . تعمل زوجة مصطفى الدكتورة هيلغا منذ العام 1993 في جامعة بيرزيت .

تابع نشاطه بإدارة مركز القدس للموسيقى ، ويواصل مشاركاته في المهرجانات المحلية والعربية والدولية ، وأنتج العام 2009 اسطوانة "المداح" وتتضمن ثماني أغاني :**"أحكي فيها ذكرياتي بالمدينة وعلاقاتي مع الأحباء والأصدقاء والشوارع والحارات وأحياء البلدة القديمة ، وتتضمن أغنية تكريم للمسرحي الراحل يعقوب إسماعيل بعنوان صاحب الطير ، وأغنية "عتم الليل" باللهجة اللبنانية المحلية من كلمات الشاعر عز الدين المناصرة الذي أعتز بصداقته ، وقد تعرفتُ**

مشهد من جنون العظمة لدى أبو الجنازير في مسرحية « لّما انجنّينا »

عليه منذ سنوات الجمر في بيروت، وتواصلتُ معه بعلاقة صداقة حميمة منذ عمر بعيد".

غاب عن القدس قسرا نحو تسع سنوات، وعندما اشتدت عليه قسوة المنفى استحضر من ذاكرته شواهد المدينة التي يعشقها، ليكتشف أن وقائع يومياتها وتفاصيل جوامعها وكنائسها وحاراتها وشوارعها وأبوابها وجدرانها محفورة في قلبه، فأطلق لها أجمل الألحان وغنى لها بنبرة صوته الجميل:

من باب حطة بنظم كلامي

من خان الزيت بعمل أنغامي

مشهد من مسرحية « لمّا انجنّينا » ويبدو على يساره الممثل عادل الترتير